THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

تحقيقات في منتهىٰ رحلة القاضي عياض، وهل حجّ حقا؟ ولقي الإمام الزمخشري وناظره؟

د. عبد الهادي حميتو*

إن القاضي عياضا رحمه الله يكاد يكون أشهر الأعلام في تاريخنا العلمي على الإطلاق، فقد طارت شهرته في عصره وبعد عصره بالمغرب والمشرق على السواء.

مقدمة

لأبي الفضل عياض. أو ابن عياض. كما كان معروفا به في زمنه[1] منزلة عند المغاربة وغيرهم لا تكاد تزاحمها منزلة، بل إننا «لا نبعد إذا قلنا: إن القاضي عياضا -رحمه الله- يكاد يكون أشهر الأعلام في تاريخنا العلمي على الإطلاق، فقد طارت شهرته في عصره وبعد عصره بالمغرب والمشرق على السواء»[2].

وقد أتيح لي أن أتعرف على شخصيته الشعبية قبل التعرف على شخصيته العلمية، وذلك من خلال ما كنت أسمعه عنه في أطوار حياتي الأولى من مشيخة التعليم الأولي، وما يتداوله العامة من قصص وحكايات، وما ينقله بعضهم عن بعض من أحوال وأسرار وكرامات، وقد عشت بمراكش زمانا قريبا من مدفنه. ثم أتيح لي – بحمد الله – أن أقف على أكثر ما دبّج قلمه من آثار شريفة أحرز بها تلك المرتبة السامية بين أعيان العلماء وأئمة الدين وخلّفها من بعده شواهد صدق على ما ناله في العلم والمعرفة من رسوخ وقدر مكين، كـ"الشفا" و"ترتيب المدارك"، و"مشارق الأنوار" و"الإلماع" و"الإعلام"، و"الغنية"، وغيرها من النفائس والأعلاق التي انتزع بها الاعتراف من المشارق والمغارب بأتم معاني الجدارة والاستحقاق، فقال فيه صديقه القديم الفتح بن خاقان في كتابه "قلائد العقيان": «جاء على قدر، وسبق إلى نيل المعالي وابتدر، واستيقظ لها والناس نيام، وورد ماءها وهم حيام»[3].

وقال فيه الإمام المحدث أبو عبد الله ابن الأبار البلنسي بعد ثناء عريض: «وبالجملة فكان جمال "مصر"، ومفخر الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدّت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسب فيهم صدرا»[4].

وقال فيه الملاحي: «كان القاضي عياض-رحمه الله- بحر علم، وهضبة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دين وحلم، أحكم قراءة كتاب الله بالسمع، وبلغ من معرفته الطول والعرض، وبرز في علم الحديث، وحمل راية الرأي، ورأس في الأصول، وحفظ أسماء الرجال، وثقب في علم النحو، وقيد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء، وأنحاء العلماء، وأغراض الأدباء»[5].

وقال فيه ولده في كتاب التعريف به: «وكان من أئمة وقته في الحديث، أصوليا متكلما فقيها حافظا للمسائل، عاقدا للشروط، بصيرا بالأحكام، نحويا، ريان من الأدب، شاعرا مُجيدا، كاتبا بليغا، حافظا للغة والأخبار والتواريخ، حسن المجلس، نبيل النادرة، حلو الدُّعابة، صبورا حليما، جميل العشرة، جوادا سمحا، كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صليبا في الحق، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور، وفي العالم معلوم»[6].

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح مثنيا على كتاب المشارق ومشيدا بمؤلفه القاضي عياض:

مشارق أنوار تبدت بسبتة

ومن عجب كون المشارق بالغرب[7]

ذلكم عياض الذي قيل عنه بالمشرق بحق: «لولا عياض ما عرف المغرب»[8].

وذلكم عياض الذي عرفته بعد أن تعرفت على آثاره وأخباره الموثوقة من مصادرها المعتبرة، وصحبته في دراساتي من خلال شفائه وترتيب مداركه الذي ترجم فيه لأعلام المالكية في المشرق والمغرب إلى زمنه، ومن خلال أدبياته التي عرفته فيها كاتبا بليغا وشاعرا وصّافا، وخطيبا مصْقَعا. ثم أتيح لي بعد هذا كله أن أقوم بجولات فيما كتب عن عياض قديما وحديثا، وأهمه ما كتبه عنه ولده أبو عبد الله محمد بن عياض[9]، ثم ما كتبه العلامة أبو العباس المقّري في كتابه "أزهار الرياض"[10]. وأخيرا ما ألقي في دورة القاضي عياض المنعقدة بمراكش من بحوث ودراسات[11]. فازدادت حصيلتي من أخبار هذا الإمام الفذ. وتنوعت المصادر والمراجع، بل تضاربت النقول. وتعددت زوايا النظر إلى الحد الذي تكاد تتعذر معه الرؤية في كثير من الجوانب من حياته أو تجعل الواقف عليها يتصور كما لو أنه بصدد جملة من الأشخاص، لا أمام شخص واحد كان يعرف بالقاضي عياض.

شخصية القاضي عياض شخصية ذات جوانب بالغة الثراء في أكثر من مجال من مجالات العلم والفكر بحيث يمكنك أن تتحدث عن عياض الأديب الشاعر.....

موضع الإشكال في ترجمة عياض:

ولا مراء في كون شخصية القاضي أبي الفضل عياض شخصية ذات جوانب بالغة الثراء في أكثر من مجال من مجالات العلم والفكر بحيث يمكنك أن تتحدث من خلالها عن عياض الأديب الشاعر الناثر الخطيب، كما يتأتى لك القول في عياض النحوي واللغوي والناقد، وعياض المحدث والمفسر والمؤرخ والفقيه، وما إلى ذلك من مجالي نبوغه وإبداعه، إلا أن هذه الجوانب كلها إنما تمثل عياضا في إطاره التاريخي أو الواقعي، ولأننا في هذه الحالة إنما نتمثله ونستقرئه من خلال آثاره، والموثوق من أخباره.

أما عياض في المجال الشعبي فهو شخصية ثانية، أو هو حصيلة ما تراكم عبر السنين في شأنه من حكايات وروايات مدونة أو غير مدونة، وما يعزى إليه أو يتعلق به في المأثورات الشعبية من أساطير يأبى بعض المتفقهة وعوام الطلبة إلا أن ينسبوها إليه، ويحملوها عليه، وأن يحاضروا بها إذا تحدثوا، ويستدلوا بها إذا كتبوا، لا يجدون حرجا في الإدلاء بها، ولا يشكون لحظة في صحتها وصدق مضمونها ونسبتها إليه.

وذلك موضع الإشكال بل معرض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المشاكل المزمنة في ترجمة عياض مما لا أعرف له نظيرا في سير علمائنا وأئمتنا، ومما أحوج إلى تناول بعض ما أضيف من الافتئات والتَزَيُّد على هذا الإمام من لدن القُصّاص والمشايخ فيما يتعلق بما ادعي له من مناظرة لشيخ الاعتزال في زمنه العالم اللغوي البارع أبي القاسم الزمخشري.

المبحث الأول: موقع عياض في تمثيل مذهب أهل السنة والجماعة، ودواعي تصور مناظرته لشيخ المعتزلة.

ربما ساغ لقائل أن يقول صادقا عن ترجمة عياض: إنها قد أشبعت بحثا، وإن شخصيته قد استوفى التنقيب مداه في جميع جوانبها بحيث لا يكاد يتأتى لباحث متقصّ أن يظفر فيها بموضع لمزيد من الإضافة والاستدراك، وشفيعُه في ذلك كله كثرة ما قيل عنه، ووفرة ما ألف ودُوِّن في القديم والحديث عن هذه الشخصية ونتاجها العلمي والأدبي، ومركزها الفكري والمذهبي، ودورها السياسي والقيادي[12].

ومع كل هذا الزخَم من الحديث عن هذا الإمام الفذ فإننا نجد أن ذكره لا يزال يتجدد مع الزمن من خلال ما ترك من ذخائر علمية، وما خلف بعده من أصداء شعبية، وما جعله الله له في قلوب العباد من محبة خاصة، وما تركه عليه في الآخرين من لسان صدق جعلهم يَلهَجون بذكره، ويفيضون في الثناء عليه ومدحه.

ولقد ظل -رحمه الله- من خلال تلك الأصداء التي خلفها في الأوساط الشعبية، والأسفار التي خلدها في الميادين العلمية والأدبية، يعيش حياة أخرى ممتدة زاخرة بالمعاني والإيحاءات لا تزال غضة نابضة، تحوطها هالات من الإكبار والتوقير، وتواكبها أرتالٌ من القصص والأسمار والرؤى والكرامات التي يمتزج فيها الواقع بالخيال، وتلتقي عبرها الحقيقة بالمحال.

ومن بين تلك القصص التي تقترن بعياض، وتروى على ألسنة المشايخ في الجنوب المغربي، قصة لقاء جرى بين عياض وبين الزمخشري صاحب "الكشاف في التفسير" وقعت فيه مناظرة حامية الوطيس بين عياض ممثل أهل السنة والجماعة، وبين أبي القاسم الزمخشري ممثل المذهب الاعتزالي في عصره.

دواعي تصور حصول المناظرة:

وكان من دواعي تصور حصول هذه المناظرة بين الإمامين توافر هذه المعطيات وحضورها في الأذهان:

1- تحقق المعاصرة بينهما تاريخيا مما يجعل الإطار الزمني صالحا لذلك ووقوع المناظرة فيه ممكنا.

فقد عاش الزمخشري ما بين عامي 467-538 هـ، وعاش أبو الفضل عياض ما بين 476-544 هـ. أي أن الزمخشري تقدمه في الميلاد بنحو تسعة أعوام، وتأخر عنه عياض على قيد الحياة بحوالي ستة أعوام، فلم يكن الفرق الزمني كبيرا، ولا مانعا من إمكان اجتماع الرجلين وحصول المناظرة بينهما زمانا ومكانا.

2- تمثيل كل منهما لمذهبه، وبسطه لمبادئه في مؤلفاته، مما قد يتخذ صاحبه منه موقفا مخالفا ومناوئا.

3- تعريض كل منهما في مؤلفاته بالمخالفين، وتصريحه بانحرافهم، ووقوعه فيهم وقوعا يقضي بالمناوأة لهم، والإدانة لمبادئهم، والتشنيع عليهم، والتحذير من مذاهبهم التي يراها مذاهب زائغة.

4- إمكان بلوغ هذه المطاعن من كل منهما إلى صاحبه، وإمكان الاحتشاد من كل منهما للرد والمناظرة.

5- انتقال الزمخشري من بلاده خوارزم، ومجاورته مدة بالحرم المكي، وتأليفه لتفسيره الكشاف بمكة، مما قد يتأتى معه اجتماع عياض به في موسم الحج ومناظرته له في مذهبه كما تقول القصة.

كان عياض أشعري العقيدة مالكي المذهب، تنطق بذلك عامة كتبه، كما يتجلى في منافحته عمن ينعتهم بأصحابنا، ويحتج بالنقل عنهم في تقرير العقائد وغيرها.

تمثيل عياض لمذهب أهل السنة:

كان عياض -كما يبدو من التقويم العام لشخصيته الفكرية والعلمية- أشعري العقيدة مالكي المذهب، تنطق بذلك عامة كتبه، كما يتجلى في منافحته عمن ينعتهم بأصحابنا، ويحتج بالنقل عنهم في تقرير العقائد وغيرها.

وقد نبَّه بعض الدارسين على هذه الصلة واستدل عليها بقوله: «واحتجاج عياض المتكرر في كتاب "الشفا" بآراء أبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني، يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهب الأشعرية وبكتبهم، وقراءته لمؤلفاتهم في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاعتقـاد، ووصفـه للباقلاني وأبي بكر بن فـورك بقوله: «من أئمتنا» دال على أنه أشعري المذهب»[13].

وقـد أبـان في مواضع مـن كتاب "الشفا" وغـيره عن هذا الانتماء، ففـي "الشفا" وبعد الفصل الذي عقده لذكر أسماء النبي ﷺ حينما لاحظ وجود بعض الاشتراك فيما بينها وبين بعض أسماء الله الحسنى، عقد فصلا لذلك فقال فيه: «نكتة أذيِّـل بها هذا الفصل، وأختم بها هذا القسم، وأزيح الإشكال بهـا فيما تقدم عن كل ضعيف الوهـم، سقيم الفهم، تخلصه من مهاوي التشبيه، وتزحزحه عن شبه التمويه».

وهو أن يعتقد أن الله تعالى جل اسمه في عظمته وكبريائه، وملكوتـه وحسنـى أسمائـه وعليّ صفاتـه، لا يشبـه شيئا من مخلوقاتـه، ولا يشبَّه بها، وأن ما جاء ممـا أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق.

فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو تعـالى منزه عن ذلك، بل لم يـزل بصفاته وأسمائه. وكفى في هذا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[14].

ثـم قال: «وهذا كله مذهب أهل الحق وأهل السنة والجماعة رضي الله عنهم»[15].

وقـال في ختـام هـذا الفصـل ممـا يؤكد بـه علـى انتمائه الفكـري: «ثبتنا الله وإياك على التوحيـد والإثبات والتنزيه، وجنبنـا طريق الضلالة والغواية مـن التعطيل والتشبيه، بمنه ورحمته»[16].

ومـن هـذا المنطلـق الفكـري والعقـدي دافـع عياض عن مبـادئ السلف من أهـل السنة والجماعـة في إثبات الصفات الإلهية، وما يقوم علـى هذا من إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخـرة، دون تأويل لما ثبت في ذلك من النصوص الشرعية الصريحة في الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة.

وقـرر فيمـا يخص الرؤية أن «الحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا، وليس في العقل ما يحيلها، والدليـل على جوازهـا في الدنيا سؤال موسـى لها، ومحال أن يجهـل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائـزا غير مستحيـل»[17]. قال: «والاستدلال علـى المنع بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يمنعه اختلاف التأويلات لهذه الآية»[18].

وعياضـ حينمـا يثبـت الرؤيـة وجوازهـا في الدنيـا يقـرر مبدئيـا أن جوازهـا في الآخـرة أولى، إكراما لأهـل الإيمان، وتمييـزا لهـم عن الفجـار الذين قـال الله تعـالى في حقهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

وقـد أورد في كتابـه "ترتيب المدارك" جـواب الإمام مالك عـن بعض ما كان شيـده المعتزلـة في زمنه مـن آراء وأفكار، كقولهـم: إن الله تعـالى لا يُـرى في الدار الآخـرة، وقولهم في الاستـواء علـى العرش، وقضية خلـق القـرآن، وأورد جواب مالـك عن كل ذلك في الباب الذي عنوانه: «باب اتباعه السنن وكراهيتـه المحدثات، وبعض ما روي عنه في عقائد أهل السنة والكلام في الأهواء»[19].

وهكـذا كان عياضـ في هذه الجهة من ديـار الإسلام يمثل مذهب أهل الإثبـات، وينافح عنه، ويواجـه مذاهب المتكلمين التـي كانـت تفد على البـلاد العربيـة والجهـات المغربية من ديـار العجم، حيث نشطـت الملل والنحل منـذ انطلاق الفرق الكلامية الأولى في البصرة وبغداد على عهد المأمون العباسي ت 218هـ، وتحولها إلى الولايات والإمارات الناشئة في بلاد فارس وما وراءها على عهد البويهيين[20].

وقد دلت المناقشة العميقة من عياض لآراء المعتزلة والفرق الاعتقاديـة الإسلاميـة على اختـلاف مذاهبهـا، والفلاسفة والصوفيـة والخوارج علـى اطلاع واسع منه علـى تلك النحل

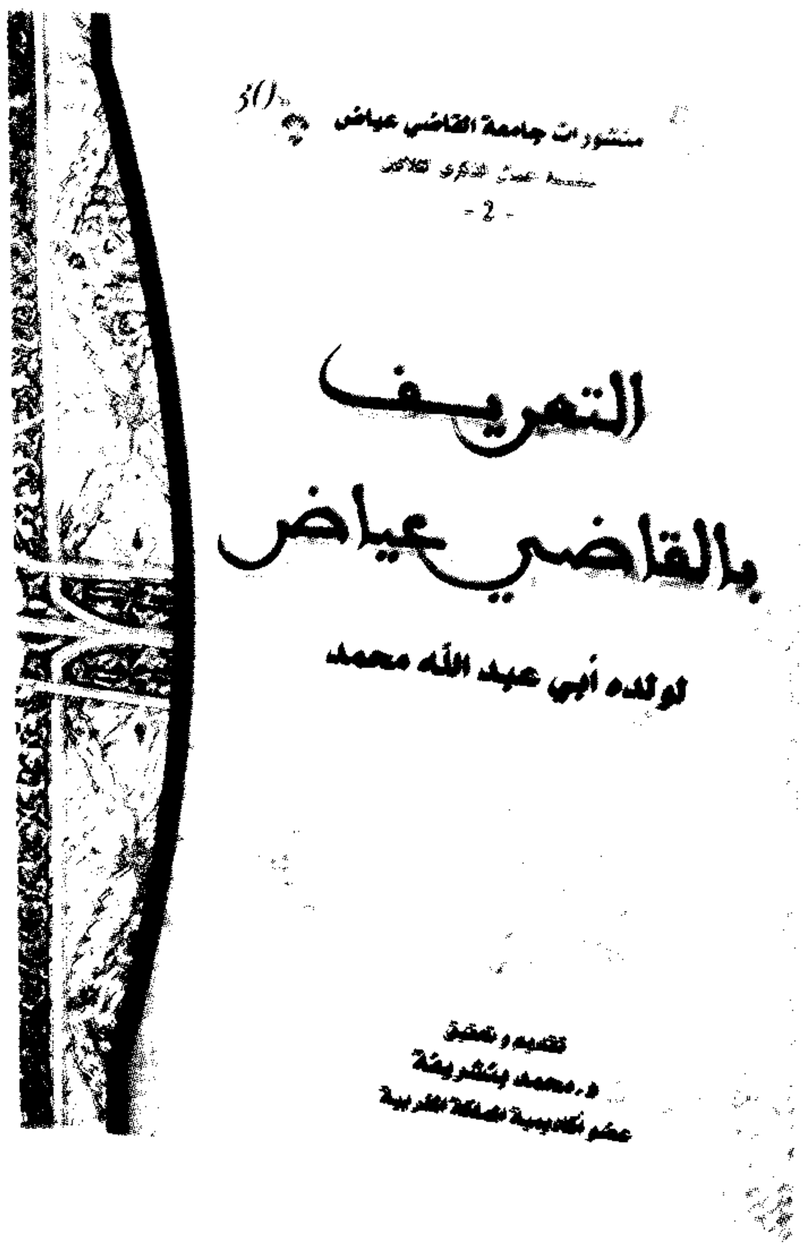

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمذاهب، وعلى معرفة مكينة بها وبآراء أصحابها وأقاويل أئمتها، مما يؤهله لأن يكون بحق اللسان المعبر عن مذهب أهل السنة في مواجهة المتكلمين والمخالفين في عصره من صدر المائة السادسة.

ظهور الإمام الزمخشري:

ويبدو أن مذهب المعتزلة كان أقوى مذهب ظاهر في العقيدة واجهه أئمة أهل السنة، ومنهم رؤساء المالكية كأبي بكر الباقلاني ت 403 هـ الذي اشتهر بمناظرته لهم، والتأليف في نقض مذاهبهم[21]، وأشهر فرق المعتزلة في عهد أبي المظفر الإسفراييني ت471 هـ الفرقة "البهشمية"، وهم أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ت 321 هـ.

قال أبو المظفر في كتاب التبصير: «وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه؛ لأن ابن عباد[22] كان يدعو إلى مذهبه»[23]. وقد «تعزز جانبهم، وكثر نشاطهم في البلدان الشرقية خاصة؛ لما وجدوه من سند قوي في الصاحب ابن عباد الذي تعصب لمذهب الاعتزال تعصبا مفرطا»[24].

وكان من أكابر علماء المعتزلة الذين ظهروا في عهد ابن عباد قاضي قضاة الري وأعمالها من ديار العجم: أبو الحسن عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار المعروف بالقاضي عبد الجبار ت 415 هـ، وقد حمله الصاحب ابن عباد إلى الري، وولاه قضاء القضاة فيها[25]، وهو صاحب كتاب "طبقات المعتزلة".

وقد وصلت إلينا أغلب مؤلفاته وآرائه، وهي في جملتها على مذهب المعتزلة في أصول الاعتقاد، ثم لم يظهر بعد القاضي عبد الجبار في هذه الجهات من حملة هذا المذهب في نظري من هو أوسع شهرة وأعمق أثرا وأسيرُ مصنفات من أبي القاسم الزمخشري الذي ولد ببلاد خوارزم عام 467 هـ ودرس بها.

ويهمنا هنا من ترجمته أن نشير إلى ما تضمنته من العناصر التالية:

1 - اشتهاره بالإمامة والتفنن في كل علم، والظهور في علم الكلام، وخاصة على مذهب المعتزلة.

2 - دخوله خراسان والعراق أكثر من مرة، «وما دخل بلدا إلا اجتمعوا عليه وتلمذوا له»[26].

3 - نزوله بالحرم المكي مجاورا بحيث تأتى له التأثير في المنطقة، ونشر مذهبه من خلال صِلاته بالحجاج ورواد البلد الحرام في حياة عياض لمدة طويلة.

4 - رعاية أمير مكة له ونزوله في كنفه، وتأثره به وانتدابه للتأليف على مذهبه في التفسير.

5 - تأليفه لكتاب الكشاف باسم أمير مكة ابن وهّاس الحسني، وتضمينه لمذاهبه في الاعتزال، وإمعانه فيه في الحط على أهل السنة الذين يسميهم المجبرة والمجسمة، ولا يتورع عن أن يشبههم بالحمر الموكفة[27]، وهذه النقط أساسية فيما نحن بصدد بيانه، ولذلك فسوف نحتاج فيها إلى بعض التفصيل.

يبدو أن مذهب المعتزلة كان أقوى مذهب ظاهر في العقيدة واجهه أئمة أهل السنة، ومنهم رؤساء المالكية كأبي بكر الباقلاني، الذي اشتهر بمناظرته لهم، والتأليف في نقض مذاهبهم

- سبب رحيل الزمخشري إلى الحجاز ومجاورته بالحرم المكي:

قد يتبادر إلى الأذهان أن هذه النقطة غير جديرة بالبحث والاهتمام، وذلك لأن الرغبة في أداء فريضة الإسلام في الحج إلى بيت الله الحرام، كافية لتكون هي الباعث الأول والوحيد.

ونحن نرى أن هذه الرغبة لو كانت هي الباعث حقا على تجشم هذه الرحلة الطويلة، فإنها ما كانت لتترك بمجرد ذلك وحده من الصدى والأثر ما تركته رحلته، حتى أرَّخ لها العلماء واهتموا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالباعث الحقيقي عليها ونصوا عليه في مؤلفاتهم العديدة.

أما هذا الباعث فهو الدافع العلمي الذي يعود إلى علومه هذا الرجل، وسعيه إلى استكمال دراسته النحوية بالأخذ والسماع عن بعض نزلاء الحرم من المختصين في كتاب سيبويه، وقد بلغه خبره ولا شك وهو في بلاده، فحرص على شد الرحال إليه واغتنام فرصة مجاورته في البلد الحرام.

ويتعلق الأمر بأحد نحاة الأندلس المتقدمين من أصحاب الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وهو:

عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابُري نزيل إشبيلية ثم مكة المكرمة:

قال ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته: «نزل إشبيلية، أبو بكر وأبو محمد، الأولى أشهرهما، روى عن جماعة من الأعلام. نزل مكة - شرفها الله - وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله، ماهرا في النحو، حافظا للتفسير، قائما عليه، ذاكرا للقصص المتعلقة به، وذلك كان الغالب عليه... واستوطن مصر وقتا، ثم رحل إلى مكة فجاور بها، إلى أن توفي بها -رحمه الله-، وكان حيا سنة ست عشرة وخمسمائة».

قال: «وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه، وبسببه ارتحل إليه الزمخشري من خوارزم لقراءته عليه»[28].

قلت: وما ذكره ابن عبد الملك من التاريخ وهو سنة 516 هـ فإنما هو تاريخ سماع أبي الحجاج يوسف بن محمد القيرواني منه لموطإ الإمام مالك في صفر من العام المذكور، قاله ابن الأبار، وزاد أنه ذكر في فصل الحج من كتاب "المدخل" له: «أنه رحل إلى المهدية في سنة 514 هـ واستوطن مصر وقتا، ثم رحل إلى مكة، وبها توفي -رحمه الله-»[29].

قال المقري: «وذكر الشيخ أبو حيان[30] في باب القسم أن الزمخشري رحل من خوارزم إلى مكة قبل العشرين وخمسمائة؛ لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل الأندلس، يعرف بأبي بكر بن طلحة اليابُري، وكان مجاورا بها، عالما بالكتاب وغيره، وله تصانيف تقرأ عليه»[31].

وقد حدد العلامة الفيروزأبادي زمن وفاة شيخ الزمخشري المذكور فقال في ترجمته: «واجتمع بالزمخشري بمكة، وقرأ عليه الزمخشري كتاب سيبويه، توفي بمكة سنة ثمان عشرة وخمسمائة»[32].

وصلت إلينا أغلب مؤلفات الزمخشري وآرائه وهي في جملتها على مذهب المعتزلة في أصول الاعتقاد.

وزاد الشيخ عبد الباقي اليماني فأرخ بهذا التاريخ نفسه لقراءة الزمخشري على ابن طلحة فقال: «وكانت قراءته عليه في سنة ثمان عشرة وخمسمائة»[33].

ويهمنا من هذا التاريخ بوجه خاص أن نحدد على وجه التقريب بداية وجود الزمخشري في البلد الحرام، وهو هنا يرجع إلى سنة 518 هـ إذا صحَّ ما حدده به اليماني، أما إذا لم يصح هذا التحديد فإن الاحتمال يتسع قليلا إلى الوراء، وذلك بالنظر إلى ما تقدم من نقل ابن الأبار أنه «- أي ابن طلحة اليابري - رحل إلى المهدية في سنة 514 هـ واستوطن مصر وقتا، ثم رحل إلى مكة».

فهذا يقتضي أن يكون - أي: اليابري - قد وصل إلى مكة قبل سنة الوفاة، وهي سنة 518 هـ، وعلى الأقل بأكثر من عام، وذلك لقول ابن عبد الملك في ترجمته المتقدمة: «ثم رحل إلى مكة فجاور بها إلى أن توفي -رحمه الله-، وكان حيا سنة 516 هـ».

كما أن في سياق ما ذكره المترجمون من التعليل لرحلة الزمخشري، بأنه إنما رحل إليه ليسمع منه، ما يفيد بصفة ضمنية أن وجوده بمكة وسماع الناس عليه بها قد بلغ إلى مسامع الزمخشري وهو مقيم في بلده خوارزم، ولا أقل من عام أو عامين يتأتى فيه أوفيهما أن يبلغه خبره، وأن يجمع العزم فيشُد الرحال إليه، ويتأتى له سماع الكتاب منه.

ولعل من المفيد هنا أن نشير إلى أمرين في غاية الأهمية بالنسبة لمعرفتنا بالزمخشري:

1 - أنه إلى هذا التاريخ الذي أرخوا به لسماعه من اليابُري كتاب سيبويه لم يفكر بعد في تأليف تفسيره الكشاف.

2 - أنه كان قبل هذا التاريخ قد ألف بعض أكثر كتبه اشتهارا في العربية، وهو كتاب المفصل[34].

ويبدو أن الزمخشري في هذه الرحلة التي لقي فيها ابن طلحة اليابري إنما ارتبط مقامه في الحرم بوجود اليابري فيه، فلما قضى الشيخ -رحمه الله- عاد إلى بلده ليستأنف حياته العلمية، ثم بدا له بعد ذلك وربما بعد موسمين أو ثلاثة أن يعيد الكرة فيتجه إلى البلد الحرام.

وقد نبَّه بنفسه في مقدمة تفسيره "الكشاف" على مجاورته بمكة مرتين اتصل في الآخرة منهما بأميرها وحظي عنده، وأملى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بطلب منه دروسا في التفسير، ثم عاد فهذبها واختصرها، وأخذ في تأليف الكتاب. وفي ذلك يقول: «فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله، فتوجهت تلقاء مكة، فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية، من الدوحة الحسنية، الأمير الشريف شرف آل رسول الله أبي الحسن عُلَيٍّ ابن حمزة بن وهّاس... أعطش الناس كبدا، وألهبهم حشا، وأوفاهم رغبة... فأخذت في طريقة أخصر من الأولى»[35].

قال: «ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم»[36].

ومعنى هذا أن إملاء الكشاف على طلابه عند البيت قد تتابع خلال عامين وثلاثة أشهر أو ما يقاربها؛ لأن خلافة الصديق رضي الله عنه كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، ويقال عشرة أيام»[37].

وقد زاد فأكد على هذا بذكر تاريخ الفراغ منه، فذكر أنه فرغ من تأليفه ضحوة يوم الإثنين 23 من شهر ربيع الآخر في عام 528هـ»[38].

وبهذا نستنتج أنه بدأ في إملائه في أوائل محرم من عام 526 هـ وسنه يومئذ تسع وخمسون سنة.

ولسنا ندري بعد هذا كم أقام بمكة مجاورا؟ وكم من طلاب العلم جلسوا إليه خلال وجوده هناك؟ إلا أن ما ذكره القفطي في ترجمته، يدل على أنه مد أطناب الإقامة في هذه المرة حيث قال عنه: "وأقام برهة بالحجاز حتى هبَّت على كلامه رياح البادية، وورد موارد العرب العاربة، ثم انكفأ راجعا إلى خوارزم، ثم قوي عزمه على الرحلة عنها وعوده إلى الحجاز، فقيل له: قد زجَّيت أكثر عمرك هناك، فما الموجب؟ فقال: القلب الذي لا أجده ثَمَّ أجده ههنا»[39].

فمؤدى هذا الكلام أن الزمخشري قد صرف أكثر عمره في الحجاز، وما تقدم لنا من تاريخ رحلته الأولى للقاء اليابري والأخذ عنه يضيّق من الرقعة الزمنية التي قضاها هنالك، لكنه يوزعها على فترتين: فترة المجاورة الأولى، والظاهر أنها قد انتهت بوفاة شيخه اليابري خلال سنة 518هـ. وفترة المجاورة الثانية، وتبتدئ بأحد مواسم الحج للأعوام التي قبل فواتح شهر محرم من عام 526هـ، وهو التاريخ الذي شرع فيه في إملاء تفسيره الكشاف كما قدمنا، ولعل هذه الفترة كانت الأطول، إلا أنها لاتتجاوز الثلاثين بعد الخمسمائة بزمن طويل.

يدل على ذلك وجوده بالعراق مرة أخرى سنة 533هـ كما نقله أبو الحسن القفطي في سياق ذكره لكلام أبي اليمن زيد ابن الحسن بن زيد الكندي أحد أئمة الإقراء والعربية[40]، حيث قال أبو اليمن: «وكان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم، وكان متحققا بالاعتزال». ثم قال: «قدم علينا بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، رأيته عند شيخنا أبي منصور ابن الجواليقي[41] -رحمه الله- مرتين، قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها، ومستجيزا لها؛ لأنه لم يكن له على ما عنده من العلم لقاء ولا رواية، عفا الله عنه وعنا»[42].

ومن هذا ننتهي إلى تحديد المدة التي تردد فيها على الحجاز أو أقام فيه مجاورا بما بين عامي 516 - 533هـ، تتخللها المدة الفاصلة بين المجاورة الأولى والثانية.

وننتهي أيضا - وهذا هو الذي نسعى إليه هنا - إلى تحديد الزمن الذي يتعلق به الاحتمال فيما يُدَّعى في القصة الآتية من تلاق بين عياض والزمخشري، ووقوع المناظرة بينهما.

فبناء على ما تقدم من تاريخ المجاورتين نستطيع أن نجزم بأن التلاقي بينهما في الحرم لم يكن أمرا واردا قبل عودة الزمخشري إلى مكة وفشو ذكره فيها بعد اتصاله بالأمير ابن وهاس، وإملائه للتفسير، وتاريخ الفراغ من الإملاء في ربيع الآخر من سنة 528 هـ يزيد في تضييق الفترة الزمنية التي يتصور فيها إمكان التلاقي بين الإمامين في الحجاز، باعتبار ما تقدم من مغادرة الزمخشري لمكة إلى العراق، ووجوده ببغداد سنة 533هـ، وربما بصفة نهائية ومنها رجع إلى خوارزم.

فهذه السنوات الخمس الفاصلة بين فراغ الزمخشري من إملائه للكشاف ومغادرته لمكة المكرمة، تمثل الظرف الزماني الذي يتصور فيه اجتماع الرجلين في أحد مواسم الحج ووقوع المناظر بينهما. غير أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن عياضا خلال هذه الحقبة كان في بلده على ولاية القضاء ابتداء من عام 515هـ، ثم نقل إلى غرناطة بالأندلس، ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم من صفر سنة 531 هـ إلى أن صرف عن قضاء غرناطة في رمضان المعظم سنة 532 هـ[43].

فالسنوات الخمس التي كان فيها الزمخشري مجاورا بمكة متهيئا للقاء ممكن لعياض، كان عياض فيها متقلدا لمسؤولية القضاء في سبتة أولا، ثم في غرناطة ثانيا، ولم يذكر في ترجمته أنه غادر الوظيفة خلال ذلك، يضاف إلى هذا ماذكره ابن بشكوال في قوله: «وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة 531هـ، فأخذنا عنه بعض ما عنده»[44].

وهذا التاريخ يقع بعد تاريخ ولايته القضاء بغرناطة بقريب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من شهرين فقط.

وعلى أي حال فالتعلق بمجرد الإمكان العقلي لتلاقي الرجلين لا يشهد له شاهد حال، ولا يساعد عليه الاتكال على الإمعان في التقدير والاحتمال.

الزمخشري يحسم في تقرير موقفه من عياض ويمتنع عن إجازته:

وكان الزمخشري لاسيما بعد مجاورته بالحرم المكي وإملائه للكشاف، قد شاع له من الذكر وذاع له من الصيت ما ملأ الأسماع، وعمَّ الخافقين، وكان لطريقته التي اعتمدها في البيان عن أسرار البلاغة ومكامن الإعجاز في القرآن في تناوله للتفسير ما لفت إليه الأنظار، وشد إليه الموافق والمخالف، كما أشار الى ذلك الإمام السيوطي في "نواهد الأبكار"، حيث قال فيما نقل عنه صاحب الكشف: «ثم جاءت فرقة أصحاب النظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة، فلذا طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب»[45].

فهذا الطيران للكتاب في أقصى المشرق والمغرب، صاحبه طيران وذيوع لمكانة صاحبه، جعلت من لا يستطيع شد الرحال إليه يكتب إليه من أفقه راجيا الحصول على الإجازة منه.

وهذا محدث العصر الحافظ الجليل أبو الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفي الإصبهاني نزيل الإسكندرية ت576هـ[46] يكتب إليه من الإسكندرية مستجيزا، فيجيبه الزمخشري أولا على طلبه بالاعتذار بقلة بضاعته من علوم الرواية، ومفارقته لكتبه التي تضمنت الإجازة بما عنده وسماعاته من بعض المشايخ بعد أن قدم بها العراق وجعلها وقفا على مشهد أبي حنيفة[47].

لكن السِّلفي حرصا منه على الإجازة يعاوده بالطلب ثانية مبالغا في الإلحاح، فيجيبه الزمخشري بالقبول، ويملأ إجازته له بالأشعار التي مُدِح بها، وما قيل من القريض في مسقط رأسه زمخشر، كما ضمنها بعض المعلومات عن بلده وتاريخ ميلاده[48].

وجرى عياض مجرى غيره من العلماء كالسِّلفي، فلم يتردد في إرسال طلبه إليه وهو بمكة المكرمة يستجيزه لنفسه، وهو

ما الذي منع الزمخشري من الإجازة لعياض؟ وهل أحس عياض بمقدار الهضيمة لحقه حينما بلغه امتناع صاحب الكشاف من إجازته إسوة بغيره ممن حصل على إجازته من العلماء...

طلب لو أتيح لنا الوقوف على تاريخ صدوره عن عياض لحقق لنا الكثير من الفائدة فيما نحن بصدد تحقيقه من الإدراك لحقيقة العلاقة بين الرجلين.

إلا أن الإمام المقري جاء به غُفْلا مجردا من التاريخ منقولا بالحكاية بالمعنى، دون أن ينقل إلينا طلب عياض بالنص كما فعل في نقله لنص رسالتي الحافظ السلفي سؤالا وجوابا.

قال المقري في أزهار الرياض: «وممن استجازه القاضي أبو الفضل عياض -رحمه الله- فلم يجزه: الزمخشري صاحب "الكشاف" سامحه الله. وسمعت غير واحد ممن لقيته يخبر أن القاضي عياضا لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال: الحمد لله الذي لم يجعل عليَّ يدا لمبتدع أو فاسق، أو نحو هذا من العبارات، والله أعلم»[49].

فما الذي منع الزمخشري من الإجازة لعياض؟ وهل أحس عياض بمقدار الهضيمة لحقه حينما بلغه امتناع صاحب الكشاف من إجازته إسوة بغيره ممن حصل على إجازته من العلماء، فقال قولته متململا بهذا الموقف. أم أنه بالفعل كان يحس بالغبطة في نفسه لعدم تقليد الزمخشري له هذه المنة حتى يضطره إلى رعايتها، وأقل ما قد يحمله من الاعتراف بها لو تقلدها أن ينوه بها في فهرسة شيوخه المسماة بـ"الغنية"، لكن الزمخشري حسم الموقف من ناحيته، وكأنه بذلك يصفي ما بين ممثلي المذهبين من حساب قديم آن الأوان لتصفيته.

حسم الزمخشري موقفه من عياض، والظاهر أن عياضا لم يتوقف كثيرا عند هذا التمنع الذي أبداه الزمخشري تجاهه؛ إذ لا يخفى عليه أن الزمخشري يعرفه جيدا، ويعرف مكانته في العقيدة السنية والمذهب المالكي، وموقفَه الذي لا يعرف الهوادة من المعتزلة وأهل الأهواء في الجملة، ومن ثم فلن يكون وقع المفاجأة كبيرا عليه عند مقابلة طلبه بالرفض؛ لأن مثل هذا الرفض يأتي في تمام الانسجام مع ما كان منتظرا.

ولقد أشرنا في أول هذا البحث إلى موقف عياض من المعتزلة، ونقلنا من كتابه "الشفا" بعض ما صرح به في حقهم مما لا يخفى عليه في مثل هذه الحال أنه السبب البارز إن لم يكن الوحيد الذي أملى على مستجازه موقفه من الإباء عليه،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والامتناع من إجازته جزاء وفاقا على ذلك الموقف.

وإذا كان عياض من الوجهة التاريخية قد فرغ من تأليف "الشفا" بعد عام 520 هـ بقليل؛ إذ يعود تاريخ بعض المقابلات عليه إلى عام 522 هـ[50]، كما ذكر في حديثه عن إعجاز القرآن في أثنائه ما يوافق هذا التاريخ[51]، فمعناه أن كتابه كان قد خرج إلى الناس، وربما حملت نسخ منه إلى مكة وغيرها أثناء المجاورة الأولى للزمخشري بها في سنوات العشرين وما حولها، وذلك قبل أن يشرع الزمخشري في إملاء كشافه بأعوام معدودة.

وإذا كان الأمر كذلك كان لابد أن يكون الكتاب قد بلغ الزمخشري، وأن ينعكس موقفه من الكتاب ومؤلفه عياض في هذا الامتناع من تلبية طلبه، انتصافا منه وانتصارا لمذهبه، وتعبيرا عن سخطه، وإعلانا عن تحيزه إلى فئته، وإشعارا له بالمنابذة التي لا هوادة فيها لمن كان على خلافه.

وقد امتعض لعياض غير واحد من علماء المغرب فرموا الزمخشري عن قوس واحدة، وعلق المقري على ما ذكره من الامتناع عن الإجازة لعياض بقوله:

«وإمامة الزمخشري في العلوم معروفة، ولكن أعِنَّة القلوب إلى من بيده التوفيق وضدُّه مصروفة، ولا بد من الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل الذي اختلفت في أمره الآراء، وآنس من جانب البيان والنحو نارا، وأنكر الحق وقد وضح نهارا، وذكر بعضهم أنه تاب، ويأبى ذلك تصريحه في كشافه بما خالف السنة جهارا، فإنه لو صحَّ ذلك لمحاه، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه، وكثير من الأئمة أغضى عن اعتزاله، وانتفع بكشافه مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله»[52].

ونحن وإن كنا لا نعلم جملة التفاصيل عن قضية امتناع الزمخشري عن إجازته، فلا نعلم مثلا من بلغه استدعاء الإجازة من عياض؟ ولا تاريخ ذلك؟ ولا من عاد بالجواب عن الطلب؟ وهل كان الجواب بالحال أو بالمقال؟ فإننا قد قدَّرنا - كما قدمنا - أن ذلك كان بعد اشتهار الزمخشري هناك بالبلد الحرام، وبعد تأليف عياض لكتابه "الشفا"، وربما أيضا بعد إملاء الزمخشري لكتابه "الكشاف" أو في أثناء ذلك خلال سنوات 526 – 528 هـ، أو حتى بعد ذلك قبل رحيل الزمخشري عن الحجاز في حدود سنة 533 هـ كما أسلفنا. وذلك عندنا يعني أن القطيعة بين الرجلين كانت لها عوامل قائمة حتى مع إغضاء عياض أو تغاضيه عنها، فجاء رد الزمخشري في غاية الانسجام مع مقتضيات الأحوال.

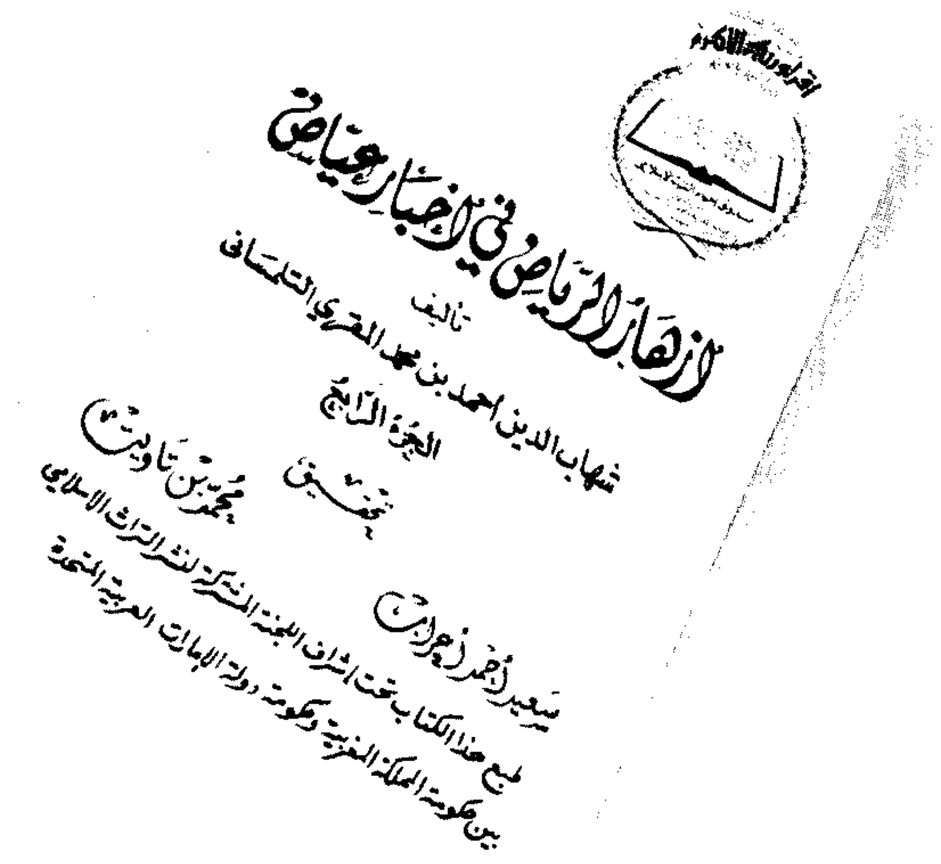
الرياض في أخبار عياض
تأليف
شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني
الجزء الرابع
تحقيق
محمد بن تاويت
مع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة للتراث الإسلامي
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة

حضور مغربي في حلقة الزمخشري:

ومن بقايا ما وصل إلينا من أخبار قليلة عن وجود الزمخشري في الحرم وموقف أهل السنة يومئذ من حلقاته العلمية، فإننا نلمس في بعضها حضورا مغربيا جعل الزمخشري يشعر نحوه بحساسية زائدة.

وها هو في كتابه "أساس البلاغة" - وهو كتاب لا صلة له بتقرير المذاهب العقدية في موضوعه العلمي البحت - يقول في مادة "كتب": «وسألني بعض المغاربة - وأنا في الطواف - عن القدر؟ فقلت: هو في السماء مكتوب، وفي الأرض مكسوب»[53].

وبصرف النظر عن السؤال في أثناء الطواف، واهتمام الزمخشري بالجواب عنه، وحكايته للقصة في غير مظنتها، فإننا يمكن أن نسجل من خلال كل ذلك وجودا مغربيا في حلقات دروس زعيم المعتزلة في زمنه، هذا الوجود الذي لا غرو أن يكون قد غصَّ به، وشغل حيزا من وقته في مناظرة بعض المعترضين عليه[54].

ومهما يكن فلا شك أن وصول صدى الزمخشري إلى المغرب غداة مجاورته بالحرم، كان يقابل بما يقتضيه من التنبيه على خطورة مذاهبه في العقيدة، وربما التحذير من الوقوع تحت تأثير تلك المذاهب انطلاقا مما يدسه أو يصرح به في تفسيره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

من أصـول الاعتزال ومبادئه[55]، لكن ذلـك كله لم يكن ليحول دون دراسة آثاره والانتفاع بها بل واتخاذ مواقف منها.

مواقف مغربية من كتاب الكشاف وما تضمنه:

ونحـن وإن كنا لا ندري علـى وجه التحديد متى دخلت كتب الزمخشري إلى الغرب الإسلامـي؟ فإننا مع ذلك نستطيع أن نقـرر أن ذلـك كان في أثناء الثلث الثاني مـن المائة السادسة، وأنهـا أيضـا قد غـدت من جملـة الكتب التي كانـت تدرس في حلقات العلماء وتوضع عليها الشروح الميسرة[56].

ومـن بـين تلـك الكتـب التـي حظيـت باهتمـام زائـد كتاب "الكشاف"؛ إذ يدل الاعتناء به في الرواية والتأليف عليه على أنـه كان واسـع الانتشار لهذا العهد، شـأن كل أثر علمي جديد مهما يكن رأي العلماء في مذهب صاحبه.

ومن أقدم ما نقف عليه من الإشارات، هذه الإشارة التي تصور لنا مبلغ الانزعاج من وصول هذا التفسير إلى البلاد الأندلسية كما عبر عنه أحد الفقهـاء الرسميين، وهو أبو الحسين محمد ابـن محمد ابن زرقـون [57] -رحمه الله- وقـد أدرك من حياة عياضـ نحو خمسـة أعوام، فقد جـاء أنه كان ينعـى على أبي العباسـ أحمـد بن احمد بـن محمد بن إسماعيـل الحضرمي المشهور بابـن رأس غنمة[58] جَلْبَهُ للكشـاف قال: «لتضمنه من المذهـب الاعتزالي، ويقول: قد كانـت الأندلس منزهة عن هذا وأشباهه، ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر في مثلـه، وإن في غيره من تصانيف أهل السنـة في التفسير غنيةً عنه»[59].

ومهمـا يكن رأي الفقيه ابن زرقون وأمثالـه من العلماء، فإن هـذا التفسير كان له صدى عميق على إثر دخوله إلى المنطقة؛ ولذلك سرعان ما اتّجهت إليه القرائح والأنظار ما بين مناقش لـه في مذاهبه، ومهـذب له مما فيـه منها، وجامـع بينه وبين تفسـير أبـي محمد عبد الحق بـن غالب بن عبـد الرحمن بن عطيـة المحاربـي الغرناطـي 481- 641 هـ أعنـي تفسيره المشهـور: «المحرر الوجيز في تفسـير كتاب الله العزيز»[60]، وهو على مذهب أهـل السنة، قال ابن الأبـار: «وتأليفه في التفسير جليـل الفائـدة، كتبـه النـاس كثـيرا، وسمعـوا منـه، وأخذوا عنه»[61].

وكان أبـو محمـد بن عطيـة معاصرا لعياضـ والزمخشري، وقـد وجد طلاب العلم في تفسيره منهجا متميزا وتناولا فريدا للتفسير فأعجبوا به، وعمل طائفة من العلماء على الجمع بينه وبـين كشـاف الزمخشري، وكأنهـم استشعروا وجـود نوع من التكامل بينهما، وكان أكثر ما ظهر من ذلك في خلال الخمسين سنة الموالية لوفاة عياض والزمخشري وابن عطية.

أهـم مـا ظهـر مـن مؤلفـات في المغـرب والأندلـس عن الكشاف لهذا العهد:

1 - تأليـف لأبـي محمـد عبد الكبـير بن محمد بـن عيسى الغافقـي 536 - 617 هـ. قال تلميذه أبو الحسن الرعيني في برنامـج شيوخـه: «وقرأت عليه وسمعـت جملة من كتابه في التفسـير الذي جمع فيه بين تفسـيري الزمخشري وابن عطية إلى زوائد أشبع بها القول في آيات الأحكام»[62].

2 - تأليـف لأبي الحسـن علي بن محمـد الجياني 543 - 633هـ. قال ابن عبد الملك: «كان متوليا خطة الإشراف على بـلاد حاحة من نظـر مراكش... شرع في الجمـع بين تفسيري الزمخشـري وابـن عطيـة، فخلّص منـه جملة، واختُرم قبل إتمامه»[63].

3 - تأليـف لأبـي محمد عبـد الله بن محمد المعـروف بابن الكمـاد مـن أهـل إشبيليـة ت619 هـ. قـال ابـن الأبـار: «وحدثت أنه جمع بين تأليفي أبي محمد بن عطية وأبي القاسم الزمخشري في التفسير»[64].

4 - تأليـف لأبـي بكـر يحيـى بن أحمـد بن خليـل السكوني نزيـل إشبيلية ت626 هـ. قال ابن الزبير: «وعمل على تفسير الزمخشـري كتابـا سمـاه بالحسنـات والسيئـات، انتقى فيه مستطـرف غرائبـه البيانية، وأبدى أيضا مـا تضمنه من سوء انتحاله، في ركيك اعتزاله»[65].

5 - تأليـف لأبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني نزيل تونـس ت717 هـ. قال التمبوكتـي: «ألف كتابا سماه التمييز لمـا أودعـه الزمخشري مـن الاعتزال في كتـاب الله العزيز في سفرين قال: وقفت عليه»[66].

6 - تأليـف لأبي عبد الله محمد بن علي بـن العابد الفاسي الأنصـاري نزيـل غرناطـة ت662 هـ. قال ابـن الخطيب: «اختصر الكشاف وأزال عنه الاعتزال»[67].

7 - تأليـف لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهـير بابـن البنـا المراكشي654-721هـ[68]. وسماه في الإعلام: "حاشية على الكشاف"[69].

8 - تأليـف أبـي فارس عبد العزيـز بن إبراهيـم بن أحمد القرشي التيمي التونسي الشهير بابن بزيزة 606 ـ 663 هـ وسمـاه "البيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل" جمع فيه بـين ابن عطية والزمخشـري[70]. إلى غير هذا مما لم يتأت لنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

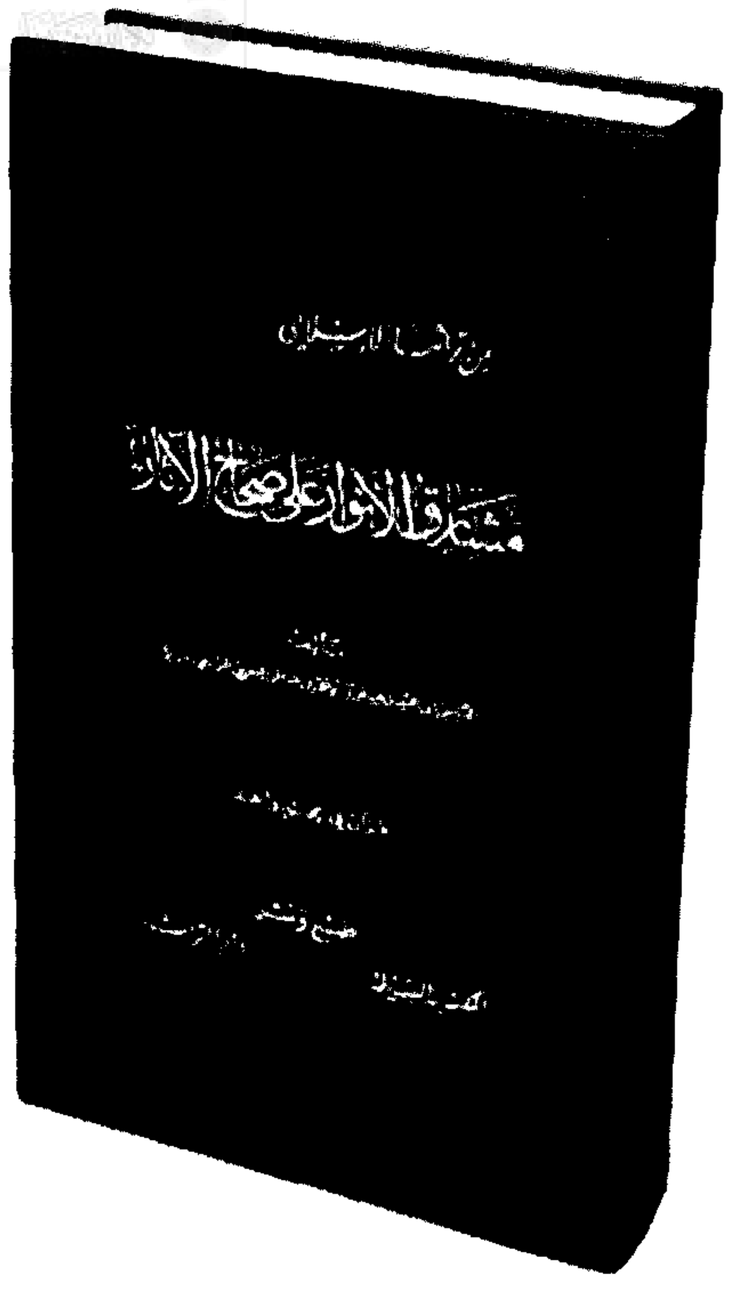

الوقوف عليه، مما يدل على توافر العناية بآثار الزمخشري، ولا سيما بكتاب الكشاف، ابتداء من زمن عياض كما تدل على ذلك مواليد مَن تقدم من المؤلفين.

ولقد أسند الإمام المنتوري ت834هـ في فهرسته مؤلفات "العلامة" الزمخشري، وحلاّه بهذه التحلية وقال: «مؤلف التفسير، وهي نحو من ثلاثين تأليفا ومنظوما. ثم ذكر سنده بها متصلا إلى الحافظ أبي طاهر السلفي عنه»[71].

وإذن فإننا نستطيع أن نتمثل منذ أواخر حياة عياض حضورا ظاهرا لآثار الزمخشري، ولعل هذا الحضور هو الذي أملى على عياض في حياة الزمخشري وخلال مجاورته في الحرم المكي، أن يطلب منه الإجازة برواياته ومؤلفاته المذكورة، إلا أنه امتنع من إجازته كما قدمنا، وذلك ما من شأنه أن يغذّي وقود الخلاف بين الرجلين، ويزيد في تعميق الهوة فيما بينهما، ويرشح عياضا في نظر بعض المشايخ إلى أن يبادر إلى تصفية الحساب معه عن طريق مناظرته والسعي إلى إخمال مذهبه وهزيمته.

ونظرا لمكانة عياض من خلال موقعه في الساحة الفكرية في عصره، وموضعه من الإمامة في الفقه في الدين، والانتصاب للقضاء والإفتاء، ولما كان لعياض في نفوس مريده من إجلال وتقدير، فقد تمثل له بعض الإخباريين رحلة إلى الديار المقدسة تكللت بها رحلاته العلمية، توهموا له فيها اجتماعا في البلد الحرام بشيخ الاعتزال الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، فجرت بينهما فيه مناظرة علمية تصاولا فيها وتجاولا ساعة من نهار، وتمادَيا في الحجاج كلٌّ ينافح عن مذهبه، ويذود عن سربه، فزعموا أن كلا منهما خرج من المناظرة ينضح العرق عن جبينه، وهو يرى أنه حقق النصر المؤزَّر على قريعه وقرينه، وشهدوا لعياض بالفوز في النضال، على شيخ الاعتزال.

المبحث الثاني: قصتي مع المناظرة العياضية مع الزمخشري:

كنت وأنا دون العشرين أتابع دراستي الثانوية بمدرسة ابن يوسف الأصلية بمدينة مراكش، وكان الدرس فيما أظنه في علم النحو، وموضوعه "باب النواصب التي تنصب الفعل المضارع"، فتطرق أحد شيوخنا للحديث عن أدوات النصب، ووصل به الحديث إلى حرف "لن"، فذكر أنها حرف نفي ونصب واستقبال تنصب الفعل المضارع.

ثم طاب له أن يتوسع لإغناء الدرس وإفادة الطلاب على عادة الفقهاء في الاستطراد عند المناسبات، فذكر فيما ذكره الخلافَ المشهور في إفادة "لن" للنفي، أهي على التأبيد؟ أم إنما هي لمجرد النفي في المستقبل؟ قال: وبالأول قالت المعتزلة، وإليه ذهب الزمخشري صاحب "الكشاف"، وعليه بني مذهبه في قوله باستحالة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، واستدل على امتناع الرؤية بقول الله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ وجواب الله تعالى له في قوله: ﴿٠انظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾

قال: وقد رد عليه علماء النحو وأئمة السنة، وأبطلوا عليه دعواه إفادة "لن" لتأبيد النفي[72]. كما ردوا مذهبه، وسفهوا رأيه ورأي أهل نحلته في القول باستحالة رؤية الله تعالى، وتأوُّلهم لما جاء في ثبوتها من نصوص الكتاب والسنة، وناظروه في ذلك حتى أفحموه، كما جرى بينه وبين عياض.

قصة المناظرة:

قال الشيخ: فقد اجتمع عياض بالزمخشري وناظره في مسألة الرؤية وغيرها من مذهبه، وطال بينهما في ذلك الأخذ والرد، فلما انتهيا من المناظرة خرج كل واحد منهما ينضح العرق عن جبينه لشدة ما لقي من العناء في مواجهة صاحبه ومقارعة الحجة بالحجة، قال: فسئل الزمخشري كيف رأيت عياضا؟ فقال: رأيت فارسا مغوارا لولا فراري منه إلى البيان وعلوم اللسان لغلبني! وسئل عياض كيف رأيت الزمخشري؟ فقال: رأيت أسدا هصورا لولا اعتصامي منه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بالسنة لأكلني!»[73].

لم نكن يومئذ في مستوى علمي يؤهلنا للخوض مع الشيخ في هذه المباحث الدقيقة التي قادنا إليها، لا من جهة العربية ولا من جهة العقيدة، غير أننا مع ذلك قد أعجبنا بالقصة وما فيها من طرافة، كما أنها في موضعها من درس النحو قد أفادتنا من جهة ما فيها من الترويح عن النفس، والتلطيف من صرامة الدرس وثقل وطأته علينا.

كما أعجبنا قبل ذلك وبعده وأدخل علينا غير قليل من النشوة والغبطة ما ذكر الشيخ أن عياضا حققه في هذه المناظرة من الظهور والظفر بخصمه وإحراز النصر عليه، وكأنما كان يحقق ذلك لحسابنا، ولاسيما وهو يؤكد على قيمة الاعتصام بالسنة في مواجهة الأهواء، باعتبار هذا الاعتصام حصنا حصينا، ومطلبا وجدانيا، وملاذا شرعيا آمنا عند اشتباه الطرق والخوف من غوائل الفتن والشبهات المضلة.

كما أننا أيضا لم نكن مؤهلين فكريا من حيث المستوى الدراسي لمطالبة الشيخ -رحمه الله- بتوثيق قصة المناظرة، وإرشادنا إلى مصدرها بتقدير ثبوتها، أو على الأقل بوجودها مدونة في كتاب[74].

القصة مرة ثانية: ثم دارت دورة الفلك ما شاء الله أن تدور، وترقيت في مدارج الطلب إلى آخر درجات السلم الدراسي الرسمي، وتعاملت مع الكتب والمصادر، وتعرفت على كثير مما في خزائن الكتب من الذخائر، المطبوع منها والمخطوط، وأنا أترقب في يوم من الأيام أن يفتح المولى ﷻ في إماطة اللثام عن قصة المناظرة العياضية الزمخشرية، فلعل الخبر عنها بقطع النظر عن وقوعها أو عدمه مرقوم في كتاب من الكتب أو حاشية من الحواشي، فما وُفِّقت بعدُ للوقوف من ذلك على عين ولا أثر، إلا ما سأذكره عن قريب مما لا يشفي الغليل.

وقد أتيح لي خلال هذه العقود من السنين الماضية بعد تاريخ السماع الأول أن أعرف الكثير عن عياض، سواء في المؤلفات التي ألفها بنفسه، وكانت مظنة لأن يذكر فيها شيئا عن هذه الواقعة، والمؤلفات والدراسات التي كتبت عنه وتتبعَتْ أخباره ومراحل حياته، كالتعريف به لولده، وأزهار الرياض للمقّري، وما كتبه عنه المهتمون بتراجم العلماء كابن بشكوال في الصلة، وابن الأبار في معجم أصحاب الفقيه القاضي أبي علي الصدفي، وعشرات البحوث والدراسات التي تحدثت عن عياض بما فيها ما ألقي في دورة القاضي عياض بمراكش عام 1981م، فما وجدت أحدا ألمَّ ولو إلمامة يسيرة بذكر وقائع هده المناظرة، وإن كانت في عبارات بعض الباحثين إيماءات ضمنية إلى ما قد يفسَّر على أنه إشارات إليها كما سنعود الى بيانه.

إلى أن حدث في فصل الصيف من عام 1997م أني كنت في زيارة لأحد شيوخي ممن قرأت عليه القرآن الكريم قديما ببلدة شيشاوة، وكان في صحبتي شقيقي، وهو أستاذ أتم دراسته الشرعية بمدينة فاس، ومعنا ولد لي يدرس يومئذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، فتجاذبنا مع الشيخ الموقر أطراف الحديث، وكان قد درس على والده بمدرسته العتيقة بقبيلة "متوكة" بالجنوب المغربي[75]، فبينما هو يطرفنا على عادته بالحكايات الأدبية، إذ قال: «كما جرى لعياض مع الزمخشري صاحب الكشاف».

وسرعان ما ارتسمت على ملامحي علامة الدهش، فبادرت أسأل الشيخ عما جرى؟

وأنشأ شيخنا يقص القصة لا يكاد يخرم من كلماتها حرفا، إلى أن بلغ منها قول عياض: «رأيت أسدا هصورا لولا اعتصامي منه بالسنة لأكلني!». وهنا رأيت الفرصة مواتية في هذه المرة لأسأل الشيخ عن مصدر القصة، معبرا عن مجرد الرغبة في توثيقها، ففوجئ الشيخ بهذا التدخل الذي لم يكن منتظرا، ولكنه مع ذلك أجاب بأن القصة مشهورة، وأنه سمعها غير ما مرة من مشايخه، فسألته هل قرأها في كتاب؟ فقال: لا، ولكنه سمعها من مصادر شفوية متعددة.

قلت: وأين التقى عياض بالزمخشري وهذا في المغرب، وهذا في خوارزم بالمشرق؟

فقال: يجوز أن يكون ذلك في مكة المكرمة في موسم الحج مثلا. قلت: وهل حج عياض؟ فقال: قد يكون، وما المانع؟

وكنت قد قرأت ما كتبه الإمام أبو العباس المقَّري في الاعتذار عن عياض في تركه للحج في كتابه أزهار الرياض[76]، فقلت للشيخ: لقد قرأت ترجمة عياض في مصادر كثيرة، فما وجدت فيها ذكرا لرحلة له إلى الحج! ثم حولت مجرى الحديث مخافة إحراج الشيخ، وبقيت الغُصَّة بمصدر القصة على حالها، ولم يكن غرضي فقط إقناع نفسي، ولكنني أردت أن أقف على ثلج الصدور وبرد اليقين في شأن حكاية ظل الحسم فيها معلقا عندي عقودا من السنين، فرجوت أن أتعرف على مصدرها وموضع ورودها في كتاب من الكتب مهما يكن حظها من الصحة أو البطلان.

بداية الانفراج:

وشاء الله أن يعود ولدي إلى المدينة المنورة لمتابعة دراسته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بعد انتهاء إجازة الصيف، فكان من أول ما ذاكر به بعض طلاب الدراسات الإسلامية العليا من المغاربة بالجامعة الإسلامية ما جرى بمحضره من المذاكرة بيني وبين الشيخ الموقر في مكتبه بشيشاوة، إلى أن أتى على اعتراضي على القصة وإنكاري أن يكون عياض قد حج بيت الله الحرام، اعتمادا مني على ما في أزهار الرياض.

فأكد له أحد الطلاب ما ذكرته، وزاد فأحاله على شرح ابن حجر العسقلاني على صحيح البخاري. وسارع الولد - أصلحه الله - فكلمني بالهاتف بعد أن وقف على موضع ذلك من الكتاب المذكور.

ابن حجر ينفي وقوف عياض على مشاهد الحرم المكي:

وبادرت إلى فتح الباري لابن حجر[77]: عند قول البخاري في كتاب العمرة: باب المعتمر إذا طاف طواف العمرة ثم خرج، هل يجزئه من طواف الوداع؟

فوجدته يقول بعد كلام: «قال عياض: وفي حديث الباب من الإشكال قوله: فمر بالبيت فطاف به بعد أن قال لعائشة: أفرغت؟ قالت: نعم، مع قولها في الرواية الأخرى: إنه توجه لطواف الوداع وهي راجعة إلى المنزل الذي كان به، قال: فيحتمل أنه أعاد طواف الوداع؛ لأن منزله كان بالأبطح، وهو بأعلى مكة، وخروجه من مكة إنما كان من أسفلها، فكأنه لما توجه طالبا للمدينة اجتاز بالمسجد ليخرج من أسفل مكة، فكرر الطواف ليكون آخر عهده بالبيت»[78].

قال ابن حجر: «والقاضي في هذا معذور؛ لأنه لم يشاهد تلك الأماكن، فظن أن الذي يقصد الخروج إلى المدينة من أسفل مكة يتحتم عليه المرور بالمسجد، وليس كذلك كما شاهده من عاينه»[79].

فالقاضي عياض إذن كما يقول الحافظ أبو الفضل ابن حجر لم يشاهد تلك الأماكن، فأخطأ في صفتها؛ لأنه وصفها على التوهم، ولم يصفها وصف المعاين الخبير، وهذا نص في موضع الخلاف - كما يقال - صادر من إمام معتبر من أهل هذا الشأن، لا يُشَك في إمامته وتحقيقه وتحريه، وهو القول الفصل فيما نحن بصدد إثباته أو نفيه من اجتماع عياض بالزمخشري ووقوع المناظرة الحامية الوطيس بينهما.

القصة للمرة الثالثة:

ولم يمض على هذا التحقيق في شأن القصة الرائجة وما يرتبط بها من دعوى جريانها في موسم الحج إلا نحو ثلاث سنوات حتى جمعني مجلس حافل بالمدرسة الرجراجية بزاوية ابن احميدة من إقليم الصويرة مع لفيف محترم من مشايخ الصويرة وجهاتها، وكان الحفل لتوديع جملة منهم على أهبة الرحلة إلى الحج في موسم عام 1420 هـ.

فبينما نحن نتبادل الأحاديث الودية في جلسة شاي جماعية، انبرى أحد المشايخ المعروفين من مشايخ مدينة الصويرة[80]، فأخذ الكلمة ونوه بالمناسبة وما تحققه من صلات الوصل بين العلماء، وما تدره من خير ونفع، وتحققه من فوائد علمية، وعوائد مادية ومعنوية... إلى أن ضرب المثل لما كان يجري في مثلها بين العلماء بقصة عياض وما جرى له من المناظرة مع الزمخشري.

وما إن وصل إلى هذا الموضع من حديثه حتى أحسست مرة أخرى بوقع المفاجاة والمصادفة غير المتوقعة، وكدت أساور المتكلم في أثناء حديثه كما هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يساور هشام بن حكيم في الصلاة حين سمعه يقرأ سورة الفرقان

لي مع هذه القصة قصة! لقد سمعتها بمراكش قديما في ميعة الصبا، ثم سمعتها بشيشاوة قبل أعوام قليلة....

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

على غير ما أقرأه إياها رسول الله ﷺ[81].

فأمهلته حتى اذا قضى نُهمته من القصة وبلغ منها إلى موضع العبرة، وسألته بتأدب واتزان: هل يعلم لهذه القصة وجودا في كتاب من كتب العلماء؟ ففاجأه السؤال، فقلت: يا سيدي معذرة، فلي مع هذه القصة قصة ! لقد سمعتها بمراكش قديما في ميعة الصبا، ثم سمعتها بشيشاوة قبل أعوام قليلة، ثم ها أنذا أسمعها ثالثة منك، وما أخال مصدرها إلا واحدا؛ لأن ألفاظها المحكية تكاد تكون متطابقة، مما يوحي بوجود أصل مكتوب إليه تعود رواياتها، فأجاب الأستاذ بأن القصة صحيحة متداولة على الرغم من عدم وقوفه على مصدرها، فقلت مسترسلا: وأين لقي عياض الزمخشري؟ قال: في موسم الحج ! لاسيما وأن الزمخشري جاور بمكة زمنا طويلا حتى لقب بجار الله لطول مجاورته في الحرم.

قلت : وهل حج عياض؟ قال: وما المانع؟ قلت: لو حجَّ لذكره المترجمون له في ترجمته! قال: وهل ذكروا أنه لم يحج؟ قلت: نعم ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري في كتاب العمرة منه، وقد وقفت عليه فيه.

قال: ألا يجوز أن يكون قد حج دون أن يبلغ العلم بذلك إلى ابن حجر؟ وهل عند ابن حجر إحصاء لكل من حج؟ قلت: أما من حيث الإمكان العقلي المجرد فأمر مسلم، وأما من حيث الواقع فلو حج عياض لبلغه ذلك.

وكان لا مناص من الاكتفاء بهذا القدر من التساؤل الذي كان الهدف من ورائه بريئا من العرض النفسي، لكن يخشى مع الإلحاح فيه والإدلاء بمزيد من الحجج على تهافت الحكاية وبطلانها، أن يفهم الاعتراض على المتكلم في شأن القصة على غير وجهه، وأن يحمل على غير محمله العلمي النزيه، كما أن من مقتضيات الأدب واللياقة في مثل هذه المناسبات والمجالس الخاصة التحلي بسعة الصدر والتغاضي عن مثل هذه الهنات، وما أكثرها في مذاكرات الشيوخ، سعيا لجبر الخواطر وتأليفا للقلوب، ونأيا عن الجدل في مساجلة غير متكافئة بين الطرفين.

وانصرم الجمع، وبقيت الغصة بمصدر القصة على حالها بعد حصول اليقين بانهيار ما بنيت عليه من أساس، ولكن كيف نقطع الشك باليقين في مواجهة من لا يزال يجد للقصة المعروضة موضعا من نفسه، ولا تزال هواجس الريبة فيما وصلنا إليه حتى الآن تهجس في وجدانه وحسه؟ ذلك ما يحتاج منا إلى وقفات متأنية مع ما سنعرضه من حقائق، ونرجع إليه من مستندات ووثائق بعون الله.

المبحث الثالث: هل حج عياض حقا؟

قد يبدو غريبا في زماننا ـ لسهولة أمر الحج وتيسره، وضيق الزمن الذي يتسع له ذهابا وإيابا، حتى أنه ربما تم في أقل من نصف الشهر ـ أن نتساءل: هل حج عياض؟ عياض الفقيه التقي الداعية يُسأل عنه هل أدى ركنا من أركان الإسلام، وهو بهذه السهولة، وعلى هذا القدر من التأتي والإمكان؟

إذن كيف يكون عياض لم يحج حجة الاسلام، وهو قد أفعم كتبه ورسائله الأدبية وأشعاره حنينا وشوقا إلى تلك المشاهد والمعاهد والآثار في الحرم المكي والروضة الشريفة، وكتب الرسائل السائرة وأنشأ الأشعار، وبعث بها إلى تلك الديار يبسط الأعذار، ويذكر انقطاع الأسباب وقيام الموانع وينشد:

يا دار خير المرسلين ومن به
هُدي الأنام وخُصَّ بالآيات
عندي لأجلكِ لوعة وصَبابة
وتشوق متوقِّد الجمرات
وعلي عهد إن ملأتُ محاجري
من تلكمُ الجدران والعرصات
لأعفِّرن مصون شيبي بينها
من كثرة التقبيل والرَّشَفات
لولا العوادي والأعادي زرتها
أبدا ولو سَحْبًا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي
لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة
تغشاه بالآصال والبُكُرات
وتخصه بزواكي الصلوات
ونوامي التسليم والبركات[82]

بل يبدو في غاية البعد أن يزهد عياض في أداء فريضة الله عليه، وهو الذي ينهي كتابه "الإعلام بحدود قواعد الإسلام" بقوله في تارك الحج معترفا بوجوبه أو غير معترف: «وأما الحج فمن تركه بعد الاستطاعة عليه، زجر ووعظ ووبخ؛ لكونه موسع الوقت. وذهب بعض العلماء إلى أن من ترك شيئا من هذه القواعد، وإن اعترف بوجوبه، فانه كافر يقتل كتارك الصلاة، ولم يختلفوا في كفر جاحد وجوبها ولا قتله»[83].

كيف يتصور بعد قوله هذا أن يتقاعس مثله عن أداء الفريضة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

.لو توفرت الاستطاعة عنده. فيدور الحكم عليه بين أن يستحق ما قرره في حق المستطيع المتربص، أو أن يكون. وحاشاه. في الطرف الثاني فيستحق ما ذهب إليه بعض العلماء؟

وكيف لا يكون مثله في صلاحه وتقواه وعلو منصبه، أحرص الناس على هذه الشعيرة، وقد نوَّه في كتبه بها هذا التنويه الذي بثه في غير موضع منها؟

ألم يرو لنا ولده عنه في التنويه بأحد آبائه قوله: «وكان عمرون والد جد أبي. رحمة الله على جميعهم. رجلا خيرا صالحا من أهل القرآن، حج إحدى عشرة حجة، وغزا مع ابن أبي عامر[84] غزوات كثيرة، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب؟»[85].

ألم يرو لنا عياض نفسه هذه الحكاية عن فضائل هذه الشعيرة ترغيبا في الإكثار منها حيث يقول: «وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني[86] بالمنستير[87] فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل، فلم تعمل فيه شيئا، وبقي أبيض اللون! فقال: لعله حج ثلاث حِجَج؟ قالوا: نعم! قال: حدثت أن من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية دايَنَ ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعَره وبَشَرَه على النار»[88].

فما قولنا. إذن. عن عياض: إنه مع كل ما دبَّجه قلمه، وحكاه لنا عن فضائل هذه الشعيرة لم يقم هو بأدائها، ولا تعلق به الخطاب الشرعي في استيفائها؟ وعلام بنينا في تفنيدنا للرواية الشعبية التي تثبت خلاف ما ذهبنا إليه، وتزيد فتقيم عليه صرح مناظرة حامية الوطيس بينه وبين الزمخشري؟

المخرج الفقهي وفقه الأولويات في تصرف عياض في فتاوي الفقهاء في حج المغاربة في زمنه:

كانت الفتوى في زمن عياض بسقوط فريضة الحج عن أهل هذه الجهات لقيام الموانع المسقطة لتوجه الخطاب الشرعي في الوجوب لفقدان شرطه المجمع عليه، المنصوص في قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وقد عبر عن هذا بلسان الفقهاء زعيم فقهاء الأندلس والمغرب، وأحد أكابر شيوخ عياض، الإمام أبو الوليد ابن رشد الجد ت 520 هـ فقال في جواب له على استفتاء وجهه إليه ملك العصر يومئذ بالمغرب والأندلس علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، يسأل فيه: أيهما أفضل لأهل الأندلس: الحج أم الجهاد؟

فبعث إليه ابن رشد يقول: «وفرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا؛ لعدم الاستطاعة التي جعلها الله شرطا في الوجوب؛ لأن الاستطاعة: القدرة على الوصول، مع الأمن على النفس والمال، وذلك معدوم في هذا الزمان، وإذا سقط فرض الحج لهذه العلة، صار مكروها؛ لتقحُّم الغرر فيه»[89]. قال: «وأما من لم يحج حجة الفريضة والسبيل مأمونة، فيتخرج ذلك على الاختلاف في الحج، هل هو على الفور، أم على التراخي؟».

ثم قال صاحب المعيار عقب هذا الجواب: «ومما استدركه رضي الله عنه. يعني ابن رشد. في جوابه إذ سأله أمير المسلمين بسبتة أول سنة 515 هـ[90] عن أهل العدوة. يعني المغرب. هل هم مثل أهل الأندلس في ذلك أم لا؟ فقال: «إن من سوى أهل الأندلس من أهل العدوة، سبيلهم سبيل أهل الأندلس: إذا كانوا لا يصلون إلى مكة إلا بخوف على أنفسهم وأموالهم، وإن كانوا لا يخافون على أنفسهم ولا على أموالهم في الوصول إلى مكة، فالجهاد عندي لهم أفضل من تعجيل الحج[91]: إذ قيل إنه على التراخي، وهو الصحيح من مذهب مالك رحمه الله الذي تدل عليه مسائله»[92].

وبمثل هذه الفتوى من ابن رشد أفتى الشيخ الفقيه أبو بكر الطرطوشي شيخ عياض أيضا ومعاصره، حيث ذهب إلى أن الحج «حرام على أهل المغرب، فمن خاطر وحج، فقد سقط فرضه، ولكنه آثم بما ارتكب من الغَرر»[93].

وأفتى بمثل هذا من أئمة عصر عياض وشيوخه في القرن الخامس وأول السادس: أبو عبد الله المازَري، وابن حمدين، وأبو الحسن اللخمي، وابن طلحة وسواهم[94].

وابن طلحة المذكور هو أبو بكر اليابري النحوي شيخ الزمخشري الآنف الذكر في كتاب سيبويه من الأندلسيين، قال صاحب المعيار نقلا عن كتاب «المدخل» لابن طلحة[95]: «ولقد لقيت في بلاد المغرب، وأنا قاصد الحج، ما اعتقدت معه أن الحج ساقط عن أهل المغرب بل حرام: لما يركبونه من المخاطرات»[96].

وقد تقدم لنا من قول أبي عبد الله ابن الأبار في التكملة أن أبا بكر بن طلحة اليابري رحل من إشبيلية بالأندلس إلى المهدية بإفريقية في سنة 514 هـ، ثم رحل عنها فاستوطن مصر وقتا، ثم رحل إلى مكة وبها توفي[97].

وتقدم أنه التاريخ المقارب لتاريخ رحلة الزمخشري إليه وهو بمكة لسماع كتاب سيبويه. وهذا التاريخ الذي أفتى فيه من ذكرنا من العلماء بسقوط الحج وبحرمته أيضا على أهل المغرب والأندلس، هو الذي تعلق به ويتعلق من يحاول أن يربط بين وجود الإمام الزمخشري مجاورا في الحرم المكي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وبين وجـود عياض في أحـد مواسم الحج التهلكة»[100].

الواقعة خلال هذا التاريـخ، ثم رتبوا على ذلك ما رتبوه من دعوى وقوع المناظرة بين الإمامـين وحصـول الفلج والفـوز لعياض فيها على غريمه المذكور.

بسط الإمام المقَّري لعذر عياض:

ولقد كفانا المؤونة في بسط عذر عياض في تـرك الحج الإمام أبـو العباس المقّري، وذلك فيما أبدى فيه وأعاد في كتابه أزهار الرياض تعقبـا لبعض المنتقدين على عياض قولـه في قطعته الحجازيـة الآنفة الذكـر يخاطـب دار خـير المرسلـين عليه صلوات الله وسلامه:

لولا الأعادي والعوادي زرتُها
أبداً، ولو سحْباً على الوَجنَات

فقـال المقّري بعـد كلام: «ويبقى الكلام على معنـى البيت نفسه الذي ضعف معناه المعترض[98]، فنقـول والله المستعـان: إن عياضا رضي الله عنه سَبْتِـيُّ الدار، يشاهد مصائب البحـر ورزاياه في كل يـوم مساء وصباحا، ولا تخفى عليه، وراكب البحر أبدا مغرور، وليس بمحمود وان سلم.

مع كونه إن حدثته نفسه. رضي الله تعالى عنـه. لزيارة قبره ﷺ ملاحظا للشريعة، واقفا معها..».

«وقول المعترض: فجعـل عياض الأعادي والعوادي تصدُّ عن زيارة الحبيب وتمنعه، هو كمـا قال: لأنه. رضـي الله تعالى عنه. ملاحظ للشريعـة، معتن بها، واقف معها، فكانـت الأعـادى والعـوادى الموجودتـان في زمنـه بـرا وبحـرا مانعتـين لـه مـن الزيارة...».

«فكما هو الآن القاصد للحج أو إلى زيارة قـبره ﷺ مـن قطرنـا[99] ممنـوع شرعا، فلا يبعـد أن يكون كذلـك في زمنه. رضي الله تعـالى عنـه. لوجود المانـع المذكور في الزمانين، والعلة في ذلك الإلقاء باليد إلى

إن عياضـا لم يحج قـط، ولـم يلـق الزمخـشري هناك بالتالي، وينبني على ذلك أنه لم تكن بينهمـا مناظـرة نافـح فيهـا كل منهما عن مذهبه، وخـرج كل منهما يشـكو مـن قـوة عارضه صاحبه..

ثـم زاد المقـري في الاحتجـاج لعياض، فشبهـه في قعـوده عـن الزيـارة المذكورة بالتابعـي الجليـل الشهـير أُوَيْـس القَرْني رضي الله عنه الـذي منعه من زيـارة رسول الله ﷺ والرحلة إليـه في حياته "فرض وجب عليه الوفاء به، وهو خدمة أمه، وقلة ذات يده».

« فمسألـة عياض رضي الله عنه مَقيسةٌ على قضية أويس، بجامع أن كل واحد من السَّيدَيْن لو ارتحل إلى زيارته ﷺ لكان عاصيا، وفعل ما يكرهه الله ورسوله، فهذا يلقي بيده إلى التهلكة، وهذا يترك أمه مضيَّعة»[101].

فعياضـ إذن معذور في تـرك الحج، إما لقلـة ذات اليـد، وإمـا لاستشعـار الخطر في سفـر البر والبحـر على السـواء، وإما لتقـديم الأهـم على القول بـأن الحج على التراخـي، فهنـاك عنـده مـن الوظائـف الشرعيـة في التعليـم والتربيـة، والإفتـاء والفصـل في الخصومـات، والمرابطـة في ثغر سبتة المُهدَّد، فترتيب الأولويات يقضي عليه ويقتضي منـه حتى مع قيام الدواعي ووجـود الحوافـز الاعتبار بوجـود الموانع، من المخاطر التي ذكر الإمام المقّري والتي ذكـر أنـه وقـف فيها مـع الشريعـة فقدم الفرضـ علـى النفـل، والأهم علـى ما هو دونـه، استئناسا بقضيـة أويس القرني في تقديمـه البرَّ بأمه والقيام في خدمتها على الرحلة والزيارة.

ومهمـا يكـن فـإن الـذي يعنينـا هنا هو التأكيـد على أن عياضـا لم يحج قط، ولم يلـق الزمخشري هنـاك بالتـالي، وينبني علـى ذلك أنه لم تكن بينهما مناظرة نافح فيهـا كل منهمـا عـن مذهبه، وخـرج كل منهما يشكو من قوة عارضه صاحبه.

سرد الأدلة على عدم حج عياض:

1 - خلـو كتبه من ذكر ذلك، وقد أتى في كثير منها على مواضع كان من المناسب أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

يذكر فيها بعض ذكرياته هناك.

ومن أهمها مواضع عديدة من كتاب "الشفا" جاء فيها ما يفيد إفادة صريحة أنه - على الأقل - إلى حين كتابته لهذا الفصل من "الشفا" حول عام 520 هـ لم يصل إلى الديار المقدسة قط.

فمنها وهو أدلها على المراد: ما ذكره من الحديث المسلسل عن شيخه أبي علي الصدفي بسنده المتصل إلى عمرو بن دينار قال: «سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزَم[102] إلا استجيب له».

قال ابن عباس: وأنا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ إلا استجيب لي. وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي.

ثم ذكر عياض بقية رجال السند من عمرو بن دينار إلى شيخه أبي علي حسين بن محمد الصدفي حيث قال الصدفي: وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها، وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها" [103].

وهنا وقف التسلسل عند عياض في هذا الحديث، ومقتضى استمرار التسلسل حسبما تقتضيه صناعة الحديث أن يقول كما قال مَن قبلَه في سائر حلقات المسلسل: «وأنا فقد دعوت الله فيه بكذا... ويذكر نحواً مما قال مَن تقدمه، ولكنه لمَّا لم يكن قد وقف بالملتزم؛ لأنه لم يحج، فإن شرط التسلسل لم يكن عنده متوفرا، ولو كان قد حج إلى هذا الوقت لكان ههنا موضع التصريح به كما هو واضح بَيِّنٌ لا مجال للمماحكة فيه.

2- حنينه إلى الديار المقدسة والروضة الشريفة في تائيَّته[104]، ورسالته الأدبية التي بعث بها إلى روضة سيد المرسلين، وهي طويلة مسهبة تعتبر من عيون رسائله، وفيها يقول مخاطبا رسول الله ق: «... فإني عبدٌ من أهل ملتك، ممن أشرق فؤاده بشعاع أنوارك... وتاه عقله بحسرة فوات رؤيتك وإبصارك، وعَدَتْه العوادي عن التشفِّي بقصد قبرك ومزارك، وقطعتْ به القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك...»[105].

3- أسانيد شيوخه الذين روى عنهم في فهرسته التي خطها بقلمه، وقد جمع فيها تراجمهم، وذكر مروياته عنهم ما بين سماع ممن لقيهم، وإجازة ومكاتبة ممن لم يحصل له لقاء لهم، مع تأتي ذلك وإمكانه لو كان قد رحل إلى الحج في حياتهم؛ إذ مثله في منزلته من العلم وحرصه على الرواية لا يفوته أن يغتنم الفرصة فيعود ممتلئ الوفاض من الرواية عن علماء المشرق، ولا سيما عن الموجودين في حياته في المراكز العلمية في أثناء الطريق ذهابا وإيابا، والمقيمين الدائمين بالحرمين أو أحدهما أو الوافدين عليهما بغرض الحج والزيارة.

وكيف يكون مثل أبي عبد الله محمد بن علي المازَري الذي ترجم له في شيوخه في "الغنية" وقال: «مستوطن المهدية، إمام بلاد إفريقية و ما وراءها من المغرب وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر... لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ولا أقوم بمذاهبهم...»، إلى أن يقول: «... كتب إلي من المهدية يجيزني كتابه المسمى بالمُعلِم في شرح مسلم[106] وغيره من تواليفه.... توفي رحمه الله يوم السبت الثالث من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وقد نيف على الثمانين»[107].

كيف يكون مثل هذا الإمام الفذ في المهدية بإفريقية في الطريق إلى الحج، وقد عاش إلى عام 536 هـ ومع ذلك يتصور أن يحج عياض قبل هذا التاريخ ولا يعرج عليه، ويكتفي فحسب بالإجازة الكتابية عنه من بلاده، وإنه منه لبسبيل مقيم؟

وقل مثل هذا في أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي الذي هو في طريقه إلى الحج مقيم بالإسكندرية، وفيها توفي في شعبان - كما قال عنه عياض - سنة عشرين وخمسمائة[108].

يقول عياض: «كتب إلي يجيزني جميع رواياته وتصانيفه...»[109]. ويروي عنه في "الشفا" فيقول: «حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة، وقرأته على غيره...»[110].

وكذلك فقل في نزيله بالإسكندرية الحافظ السِّلفي الإصبهاني محدث عصره، فإنه ترجم له في شيوخه فقال: «الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد... بن سِلفة الإصبهاني نزيل الإسكندرية أحد المكثرين بها وبقية المسندين... كتب إلي يجزيني جميع رواياته ومجموعاته»[111].

وأكثر من ذلك فهو يتبادل معه الإجازة، ويخاطب كل منهما صاحبه بقطعة شعرية يشرح له فيها مودته على البعد. فيقول عياض:

أبا طاهر خذها على البعد والنوى
تحية مرتاح لذكرك شيق
طوى لك ما بين الضلوع مودةً
تشف صفاء كالزلال المُرَوَّق
يناجيك بالذكرى فيُشفي غليله
ويُخلِص بالود الصحيح ويلتقي[112]

ويجيبه أبو طاهر السلفي بمثلها من قصيدة فيقول:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

أتاني نظم الألمعيّ الموفـــــق
يَميس اختيالا بين غرب ومشـــــرق
فطالعتُه مستبشراً فوجدتـــــه
نتيجةَ فهم في البلاغة مشـــــرق
وأنشدته الأصحاب بعد تأمُّـــل
فلم يَبق منهم غيرُ مُطْرٍ ومُطـــرِق

إلى أن يقول له فيما نحن نسوق هذه الشواهد عليه:

فنحن وإن لم يُقضَ يا قاض بيننا
لقاءٌ، فبالأرواح ندنو ونلتقـــي[113]

4 – روايته عن جماعة من المجاورين بالحرم المكي بمجرد الكتابة والإجازة: وأبلغ مما ذكرناه دلالة روايته بالإجازة وهو في بلده عن جماعة من مشيخة الحرم المكي والمجاورين فيه.

وقد ترجم في الغنية لجماعة منهم، كالشيخ أحمد بن خليفة الخزاعي المكي فقال: كتب إلي من مكة يجيزني كتاب البخاري عن كريمة[114] سماعه منها بسندها المعلوم[115].

ـ والشيخ أبي سعيد حيدر بن يحيى بن حيدر الجيلي المجاور بمكة. قال:«أجازني جميع رواياته كتب إلي بذلك بخطه من مكة حرسها الله»[116].

ـ والشيخ عبد الرحمن بن عبد الصمد النيسابوري المعروف بالإكاف الشافعي الإمام أبي القاسم. قال: «كتب إلي من مكة يجيزني جميع روايته، ثم انصرف إلى بلده»[117].

ـ والشيخ عبدالواحد بن أحمد بن عبد القادر البغدادي الفهري.. قال: «كتب إلي يجيزني جميع رواياته سنة 517هـ»[118].

ـ والشيخ أبو الحسن الإسكندراني الشيخ المسند الراوية... كان أسند مَن بقي ببلاد مصر وأوسعهم رواية... وكتب إلي بإجازة جميع روايته سنة 515هـ[119].

ـ والشيخ علي بن أبي القاسم بن محمد المهدوي يعرف بابن البنّاء، سكن مكة... كتب إلينا منها بإجازة جميع روايته...»[120].

كل هؤلاء كان يتصور لقاؤه لهم ولغيرهم لو كان قد حج بالفعل، وبذلك يستغني عن انتظار كتابتهم إليه من هذه الأرجاء البعيدة.

وقد قدمنا أنه استجاز الزمخشري أيضا في جملة من استجازهم من المجاورين بمكة، لكنه لم يجزه لدواع ذكرنا بعضها وأهمها.

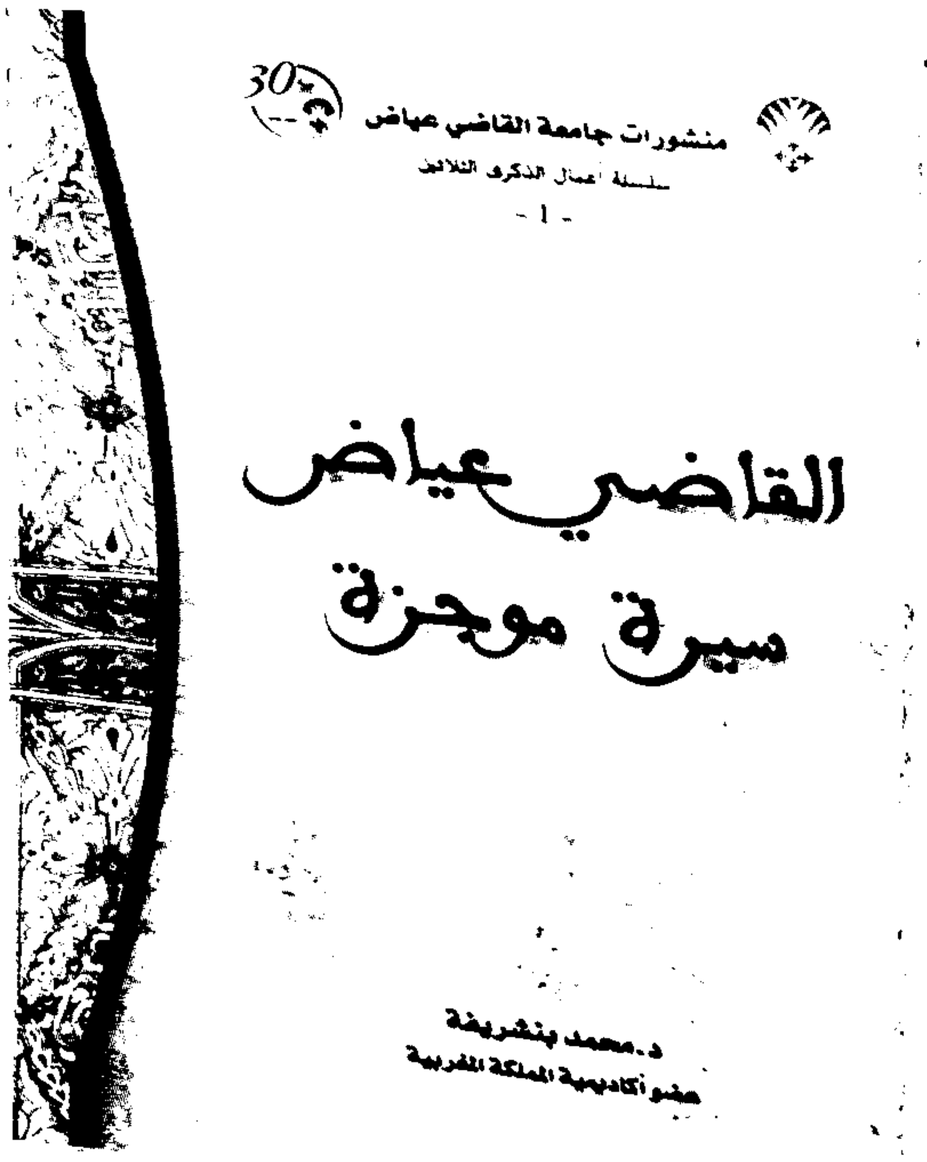

5 – عدم ذكر المترجمين له من أهل الطبقات لرحلة له إلى المشرق: ثم إنه ما كان ليخفى أمر عياض لو حج أو كانت له رحلة إلى المشرق على من عُني بالتعريف به والحديث عن مراحل حياته العلمية، حتى يأتي بعض المشايخ المتأخرين من هواة الغرائب ورواة الأسمار فيعلموا من شأن عياض ما لم يعلمه أمسّ الناس به رحما، وأكثرهم لأخباره وآثاره رواية وتتبعا، وأعلمهم بحله وترحاله، وتفاصيل أحواله!

فهذا ولده أبو عبد الله القاضي محمد بن عياض يخصه بكتاب التعريف، فيذكر أهل بيته ونسبه وأوليته، ثم نشأته في سبتة «على عفة وصيانة»، وطلبه للعلم حتى «توفي وهو طالب له»[121] ويذكر «أخذَه عن أشياخ بلده» ثم يذكر رحلته إلى الأندلس، وخروجه إليها من سبتة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة 507 هـ فوصل قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعده... ثم خرج منها إلى مرسية يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان من التاريخ، فوصل مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده... فأقام بقية صفر وربيع الأول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

يقابل كتبه أثناء ذلك بأصول الحافظ أبي علي الصدفي.

ووصل بلده ليلة السبت السابع من جمادي الآخرة من عام ثمان وخمسمائة... ثم ولي القضاء عام خمسة عشر وخمسمائة لثلاث بقين من صفر... ثم نقل إلى غرناطة، ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم من صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فنهض إليها وتولى خطة قضائها... ثم ولي قضاء سبتة ثانية في آخر عام تسعة وثلاثين وخمسمائة.

ثم رحل إلى عبد المؤمن الموحدي فاجتمع به بمدينة سلا عند توجهه إلى محاصرة مراكش فأوسع نزله، ثم نهض إلى الحضرة العلية ـ مراكش ـ أدام الله حراستها في يوم الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة... فوصلها والحال متغيرة عليه، فأقام بها إلى أن اجتمع بسيدنا أمير المؤمنين دام نصره، إلى أن خرج ـ أدام الله تأييده ـ إلى غزوة دكالة، وخرج صحبته، فمرض بعد مسير مرحلة، فأذن له في الرجوع، فرجع إلى الحضرة، فأقام بها مريضا نحوا من ثمانية أيام، ثم مات عفا الله عنه ليلة الجمعة نصف الليل، التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة[122].

ذلك ملخص حركة عياض ومنتهى سفره، وهو في الجملة لا يعدو آفاق العدوتين المغربية والأندلسية، وهذا مدون بقلم من لا يغيب عنه حاله، ولا تخفى عليه أخبار رحلته إلى المشرق لو كانت في مرحلة من عمره.

يضاف إلى هذا أن مثل عياض ـ كما قدمنا ـ كان محل عناية مزدوجة، من جهته هو، فلا يُتصور أن يحج في صمت حتى لا يشعر به أحد، ومن جهة أهل العلم وطلاب الرواية الذين لا يفوتهم مثل هذا الحدث الكبير[123]. لا سيما لو كان قد أتيح له فيما زعموا أن يجتمع بشيخ الاعتزال، وفي بلد كالبلد الحرام.

وهكذا سكت عن وجود هذه الرحلة المشرقية من أرَّخوا له في كتب الرجال كابن بشكوال في الصلة[124] وابن الأبار في معجم الأصحاب[125] والضبي في بغية الملتمس[126]، ومن خصوه بترجمة مفردة كولده محمد وأبي العباس المقّري التلمساني في أزهار الرياض[127]. بل إن هذا احتاج إلى بسط عذره في القعود عن هذه الرحلة وأبدى في ذلك وأعاد كما أسلفنا، فكيف يُتصور مع كل هذا الإجماع وجود رحلة لعياض لم يتعرض لها كل هؤلاء؟!

6 - تصريح بعض العلماء بأنه لم يشاهد تلك الآفاق المشرقية. فممن صرح بذلك من الأعلام:

أ- الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت852 هـ فقال في شرحه لباب العمرة من صحيح البخاري كما تقدم نقل كلام عياض وتعليقه عليه: «والقاضي في هذا معذور؛ لأنه لم يشاهد تلك الأماكن»[128].

ب- والفقيه الأديب أبو عبد الله بن سعود العبدري حيث قال في رحلته عند ذكره لأيلة: «وأيلة معدودة من كُوَر مصر، وفيها عدها البكري[129]، وجعلها القاضي صاعد[130] حد طول مصر حسبما تقدم.. وقد ذكرها القاضي عياض في مشارقه وغلِط فيها، فحكى عن أبي عبيدة أنها مدينة على شاطئ البحر من بلاد الشام، وهي نصف الطريق من فسطاط مصر إلى مكة[131] .. وذكرها المتيجي صاحب الرسالة في القبلة في رسالته[132] فقال: منها إلى مكة نصف شهر، فغلط فيها أيضا كما رأيت».

قال العبدري: «وذلك غير مستنكر، فإن من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه، وقلَّما يسلم فيه من الغلط، وما زال أهل الإتقان يقعون في مثل هذا»[133].

فقول العبدري: «فإن من لم يشاهد الشيء يصعُب عليه وصفه» صريح في أن عياضا رحمه الله لم يشاهد هذه الآفاق حتى يصفها كمن وقف عليها ورآها رأي العين، وذلك هو ما جمعنا هذه النقول من أجل بيان الحقيقة فيه.

ج- والشيخ محمد الأمين الصحراوي ت1295 هـ في كتابه الطارف والتالد، فقال في معرض التنويه بعياض ومكانته عند أهل العلم: «وانظر إلى عياض، فلا ترى تأليفا معتبرا من تواليف أهل الحديث، ولا أصحاب السيرة والفقهاء، إلا وجدته مشحونا بكلامه مع أنه لم يرتحل إلى المشرق»[134].

د- والأستاذ عبد الكريم التواتي فقال في بحث له: "صفحات من تاريخ أبي الفضل عياض": «ورحلات القاضي عياض خارج مسقط رأسه محدودة؛ إذ لم يفارق سبتة إلا إلى رحلته الأولى للأندلس لتلقي العلماء، والثانية لولاية القضاء بغرناطة، ثم ثالثة، ولكنها خاطفة للاتصال بابن غانية يوم رفع راية العصيان ضد الموحدين»[135].

هـ - ويقول الأستاذ عبد الهادي احسايسن في بحثه: "عياض خريج مدرسة الحديث المرابطية": «فعياض من مواليد سبتة المغربية 476 - 544 هـ درس بها وأخذ عن شيوخها الأعلام كل ما كان يدرَّس آنذاك، فهو لم يرحل عن بلده سبتة إلا داخل القطر المغربي الكبير»[136].

7 - عدم ذكر مناظرته لأحد من المعتزلة في المصادر المعتمدة في مظنة ذكرها لذلك: وقد عُني الإمام المقّري بتتبع أخبار عياض في الأزهار، وكان يتوسع أحيانا ويستطرد على عادته في مؤلفاته، وفي هذا الصدد أورد رسالة من الشيخ أبي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عبد الله بن غازي أجاب بها الشيخ أبا العباس أحمد بن يحيى الونشريسي عن جملة من الأسئلة، منها مما يتعلق بأهل السنة ومناظرتهم للمخالفين قول الونشريسي: «وأما رجال أهل السنة والمعتزلة فلا علم لمحبكم هل صُنِّف فيهم أم لا؟ نعم ربما سمعت أو رأيت بعض حكاياتهم في المناظرة، كمناظرة الشافعي حفصاً الفرد بعد ما أنشده الشافعي يتوعده متمثلا:

ستعلم يا يزيد إذا التقينا
بشطِّ الزاب: أي فتى أكون؟

وذكرها أبو نعيم في الحلية[137]، ومناظرة القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ابن المؤدب..الخ»[138].

ثم ساق المقري خبر المناظرة الطويلة للباقلاني التي جرت بمجلس فنَّاخَسْرو البُوَيْهي بمحضر وزرائه ورجال دولته وجمهور من متكلمي المعتزلة. ولو كانت هناك مناظرة جرت بين عياض وبين الزمخشري أو غيره، لكان ذكرها بالمناسبة، لاسيما والكتاب تدور مباحثه على عياض وبيان موضعه من العلم ومناصرته للسنة[139].

المبحث الرابع: منتهى رحلة عياض خارج بلده ووطنه ومنشأ الغلط عليه فيها.

نوَّه عياض بذكر الرحلة العلمية وبيان أهميتها لطالب العلم والراغب في لقاء الشيوخ وتحقيق الروايات، وأبدأ وأعاد في تقديمه لكتاب مشارق الأنوار في الحديث عن عمل العلماء من خلال ذلك، « فنظروا ـ رحمهم الله ـ بعد هذا التمييز العزيز، والتصريح المريح، نظرا آخر في الصحيح، فيما يقع لآفة البشرية من ثقات رواته من وهم وغفلة، فنقّبوا في البلاد عن أسبابها، وهتكوا ببارع معرفتهم ولطف فطنتم سُجُفَ حجابها، حتى وقفوا على سرها، ووقعوا على خبيئة أمرها، فبينوا عللها، وقيدوا مهملها، وأقاموا محرَّفها، وعانَوا سقيمها، وصححوا مصحَّفها»[140].

إلى أن يقول: « ثم ترى الراحل لهذا الشأن، الهاجر فيه حبيب الأهل ومألوف الأوطان، قد سلك من التساهل طبقة من عدم ضبطه لكتابه، وتشاغله أثناء السماع بمحادثة جليسه أو غير ذلك من أسبابه[141].

ثم يشير في تقويمه لأهمية كتابه إلى الرحلة مرة أخرى بقوله:«وأنه يستغني بما يجده في كتابنا هذا عن الرحلة لمُتْقني الرجال»[142].

فهاجس الرحلة العلمية إذن كان حاضرا عند عياض، طالما أن طالب العلم لا مناص له من لقاء الرجال، للأخذ والرواية أولا، ولتمحيص الروايات ثانيا، وللمقابلة على الأُصول، ولغير ذلك من الأغراض، إلا أن يكون قد ظفر في بلده وأُفقه بما يسد به حاجته، ويحقق طلبه ممن رحل في هذا قبله فكفاه مؤونة التنقيب في البلاد، وأغناه عن ضرب أكباد المطايا وإعداد الزاد، كما فعل عياض بالقياس إلى أهل بلده؛ ولهذا نراه يُلحُّ على المنهاج الصحيح الذي ينبغي أن يُحتذى في السماع وتصحيح المتون، والمقابلة على الأصول، وكأنه من خلال ذلك يقدم إلينا نفسه، ويصف لنا معاناته في الطلب، وكيف شد الرحال في هذه الغاية حتى لقي مَن لقي من العلماء الفهماء الجهابذة في الآفاق التي بلغ إليها منتهى رحلته رحمه الله.

ولقد بينا بما فيه الكفاية أن عياضا إنما كانت رحلته خارج الوطن فقط إلى حواضر العدوة الأندلسية، وأنه بشهادة العلماء والمؤرخين والدارسين لم يرحل إلى المشرق، لا للحج ولا للدراسة ولا لغير ذلك كما أسلفنا القول فيه.

رحلاته الأندلسية:

وقد استقرأنا من خلال ما وصل إلينا من كتبه ومصادر ترجمته الحواضر التي حل بها عياض خارج الوطن فوجدنا أنها سبع حواضر، وهي: الجزيرة الخضراء، وإشبيلية، وقرطبة، وسرقسطة، ومرسية، والمرية، وغرناطة.

وفي الجدول التالي تحديد لهذه الحواضر، وذكر لمن لقي فيها وتصريح بسماعه منه بها، مع التنصيص على ذلك، وذكر المصدر الذي ورد فيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

جدول منتهى رحلة عياض خارج العدوة المغربية من خلال المصادر

المدينة	الجهة	المصدر	الجزء والصفحة	النص المصرح بذلك
الجزيرة الخضراء	مقابل سبتة من الأندلس	التعريف	12	-وبقي يدبر أمره ويسوس أهله... إلى أن دخل الصحراوي البلد. وهو حينئذ بالجزيرة الخضراء زائرا مدافعا ليحيى بن غانية.
		التعريف	115	-بماذا نلت هذه الدرجة؟ قال: فيقول: بجوازي إلى الجزيرة الخضراء وسفري إلى مراكش.
إشبيلية	غرب الأندلس	الغنية	106	-في ترجمة شيخه أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني الإشبيلي: من أهل إشبيلية، لقيته بها وأجازني جميع روايته.
		مشارق الأنوار	37 /1	-وأخبرني به الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون بمدينة اشبيلية.
		التعريف	119	.«لقيه بإشبيلية وأجازه».
		الغنية	177	- في رسم أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الأخضر مقدم النحاة باشبيلية: «لقيته بإشبيلية سنة 498 هـ حدثني بشرح الأشعار الستة لأبي الحجاج الشنتمري ».
		الغنية	69	- في رسم الفقيه القاضي أبي بكر بن العربي المعافري: « ولقيته باشبيلية وقرطبة».
قرطبة		التعريف	6	-«فوصل قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة».
		الغنية	46	- في رسم شيخه ابن حمدين: «لقيته بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وصدر سنة ثمان...».
		الغنية	48_47	- وفي رسم شيخه أبي عبد الله التجيبي: «قرأت عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث...».
		الغنية	54	- وفي رسم ابن رشد الجد: «جالسته كثيرا وساءلته واستفدت منه».
		الغنية	202_201	- وفي رسم أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج: «ورحلت إليه إلى قرطبة سنة سبع وخمسمائة، فسمعت عليه ما يسره الله بمنه، ثم رجعت إليه بعد رحلتي من شرق الأندلس سنة ثمان فوجدته مريضا مرضه الذي توفي منه رحمه الله».
		الصلة	430.2	- «وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة 531 هـ فأخذنا عنه».
مرسية	شرق الأندلس	التعريف	7	. « ثم خرج منها إلى مرسية يوم الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان من التاريخ، فوصل مرسية يوم الثلاثاء الثالث من صفر بعده».
		مشارق الأنوار	37 /1	- فأما رواية أبي ذر فإني سمعتها بقراءة غيري بجامع مدينة مرسية لجميع الصحيح بها على القاضي الشهيد أبي علي الحسين بن محمد الصدفي».
		الغنية	153	- في رسم شيخه أبي محمد بن أبي جعفر الخشني: «لقيته بسبتة عند صدوره من الحج، وسمعت منه شيئا، ثم لقيته في رحلتي ببلده مرسية».
غرناطة	جنوب الأندلس	التعريف	10	. « ثم نقل إلى غرناطة ووصل إليه الكتاب بذلك في أول يوم من صفر سنة 531 هـ».
		التعريف	10	. وفي رسم شيخه أبي الحسن علي بن محمد بن دري: «ثم انتقل إلى غرناطة ولقيته بعد بها وسمعت منه بعض كتابه في مخارج الحروف...».
		الغنية	176	- وفي رسم هشام بن أحمد الهلالي: «ولقيته أنا بغرناطة انصرافي من المشرق».
المرية	شرق الأندلس	الإعلام للمراكشي	9/ 310	- « وفي رحلته هذه دخل المرية، وبها لقيه القاضي أبو جعفر بن مضاء».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

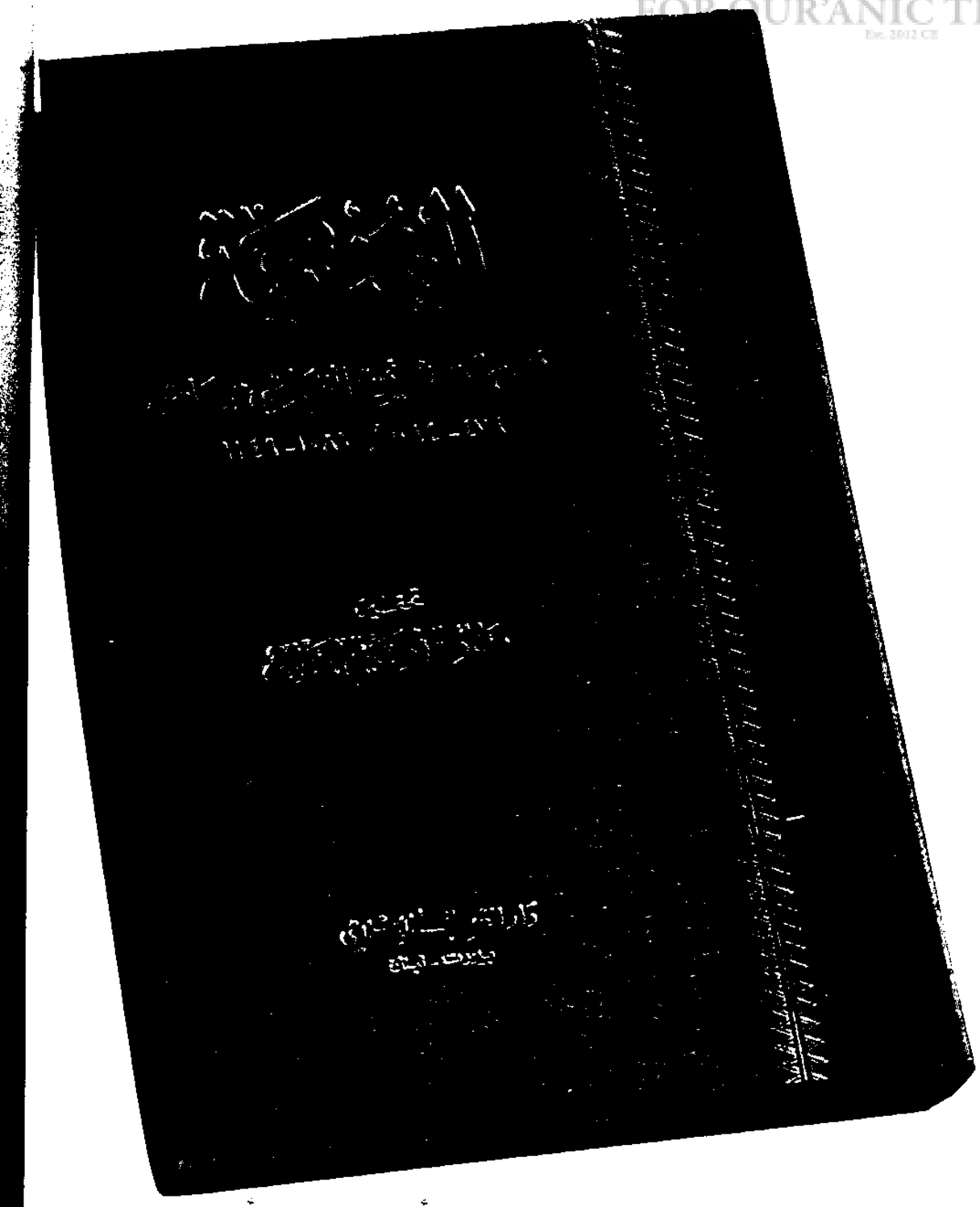

ولعلنـا من استعراضنا لهذه العناصر وما استقرآناه فيها من أقوال العلماء والمؤرخين قد أتينا على ما فيه مقنع في الموضوع، وبلغنا من الاستدلال له فوق حد الكفاية لمن كان يطلب الحقيقة متجردا مـن تأثير حكايات ضعفاء المشايـخ التي لا تثبت أمام النقـد والتمحيـص. ولا سيمـا والأمر ههنا يتعلـق بإمام جليل تتبـع العلماء والمؤرخون أخبـاره وآثاره. فما فاتهم من مهماتها شـيء له بـال. فكيف يظن بهم أن يغفُلوا عـن مثل هذه الرحلة وما يتصل بهـا؟! غير أنه لا يفوتنا بعد هذا أن نشير إلى بعض العبـارات الموهمـة التي نمر بها هنا وهنـاك، وربما تفهم على غـير وجهها مما يرد في ترجمتـه مرادا به غير ظاهره، أو كان صاحـب العبـارة فيه غير دقيق. فأوهم خلاف مـراده، أو كان ضعيـف التحـري والضبط لمعاني مـا يقـرؤه أو ينقله، ضعيف التحرير لما يكتبه ويذاكر به.

عبـارات أسهمـت في وقـوع الغلط علـى عياض ونماذج منها:

1 – قول عياض نفسه فيما حكى عنه ولده في كتاب التعريف في قولـه: «نقلـت مـن خط أبـي ﷺ قـال: أنشـدني الشيخ أبو الطاهر السلفي لنفسه:

مالي لـدى ربـي جزيل وسيلـة
إلا اتبـاعي دينَـه ويقيـنـي
والدينُ حصن للفتى وعقيدتي
أن القـليل من اليقيـن يقيني[143]

فقولـه: «أنشـدني الشيخ أبو الطاهر السلفـي لنفسه»، يوحي باجتماع عياض به وسماعه منه مباشرة. والحقيقة تأبى ذلك، كما ذكر ولده نفسه في آخر كتاب التعريف به[144]. وكما تقدم في طلبـه الإجازة من السلفي وأبياته في مخاطبته وجواب السلفي عليها. وإنما المراد بقوله أنشدني: أنه أنشده فيما أجازه به.

2 – قـول عياض في ترجمـة شيخه في الغنية هشام بن أحمد ابن هاشم الهلالي: « ولقيته أنا بغرناطة انصرافي من المشرق، ولم أسمع منه»[145].

فالمراد مشرق الأندلس.

3 – قـول الحافـظ ابن بشكـوال في الصلة وابـن فرحون في الديباج: «وأخذ بالمشرق عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي كثيرا»[146].

فـلا شـك أن المراد بالمشـرق عنده مشـرق الأندلـس، ويدل عليـه قول صاحب جذوة الاقتباس: « وأخذ بشرق الأندلس عن القاضي حسين بن محمد بن فيره الصدفي كثيرا»[147].

وقـد عبر بمثل ذلك عياض في رسم شيخه محمد بن فتحون الأريولي فقال: « لقيته وقت رحلتي إلى شرق الأندلس»[148].

وقـال في رسم أبي الحسـين سراج بن عبد الملـك بن سراج: «ثـم رجعت إليه بعد رحلتي من شرق الأندلس سنة ثمان. يعني وخمسمائة.»[149].

4 – قـول الشيـخ محمد الفتحـي الموقت المراكشـي في كتاب السعادة الأبدية متحدثا عـن الشفا: «وحملهُ الناس عنه شرقا وغربا»[150].

ولا يخفـى ما تفيده كلمة عنه مـن الأخذ المباشر. وذلك ليس مرادا.

5 – وقـول الفقيـه أبي محمد بن أبي جعفـر: « ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض»[151].

فالمراد المغرب الأقصى في مقابل بلاد الأندلس.

6 –وقـال الأستاذ الحجـوي في كتاب الفكـر السامي واصفا لعياض: «كان مقدم وقته في الحديث والتفسير والآداب والشعر والأصـول والفقه والعلوم العربية... لـه الرحلة إلى الأقطار... ورحل إلى الأندلس سنة 507 هـ[152].

هكذا قـال الأستاذ الحجـوي: «له الرحلـة إلى الأقطار»، ثم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عطف عليه قوله: «ورحل إلى الأندلس»، والعطف يقتضي المغايرة، ومعناه أنه دوخ الأقطار بما فيها الأقطار المشرقية كما رحل إلى الأندلس، وليس ذلك كما قال.

7 -وقال الأستاذ عبد الكريم التواتي في بحث له بعنوان: صفحات من تاريخ أبي الفضل عياض: «ولد وعاش عياض، وشاهد ما كان يتدارسه العلماء من أمثال أبي بكر الطرطوشي، وأبي حامد الغزالي الطوسي، وجار الله الزمخشري، وابن العربي المعافري، وأبي الوليد بن رشد، وأبي الطاهر السلفي، والفقيه المازري وأضرابهم»[153].

ولا شك أن تعبير الأستاذ بقوله: «وشاهد ما كان يتدارسه العلماء» ممن ذكرهم، يوقع في الوهم ويوحي لغير العارف بالحال أنه رأى ذلك رأي العين، ورحل إليهم في تلك الآفاق حتى شاهد ذلك وحضره، مع أنه في الحقيقة والواقع لم يحظ بلقاء كل العلماء السبعة المذكورين، وإنما لقي الاثنين اللذين هما في أفقه المغربي، وهما أبو الوليد ابن رشد، وأبو بكر ابن العربي المعافري، وأما الباقون فإنما أخذ عنهم بطريق الإجازة؛ إذ كتبوا إليه بها من مواطنهم كما قدمنا، وفيهم واحد امتنع من إجازته، وهو الإمام أبو القاسم الزمخشري الذي يعنينا بالذات.

والقارئ البسيط يقع في خلده لأول وهلة أن عياضا شاهد الجميع واستفاد من حلقاتهم العلمية.

8 - ويزيد الأستاذ في ختام بحثه فيعمق عند قارئه هذا الوهم حين يقول دون احتياط: « وبعد فتلك صور خاطفة ولمحات مقتضبة من حياة وتاريخ هذا العملاق الذي رفع رأس المغرب عاليا، وجعل أقطاب العلماء في الشرق أمثال ابن تيمية وجار الله الزمخشري يتهيبون قوة عارضته، ويتخوفون أن يزاحمهم فيما بنوه لأنفسهم من أبراج، وما أحاطوها به من هالات التفوق»[154].

وأني لأجد في قول الأستاذ الباحث وعبارته الموحية: « أمثال ابن تيمية وجار الله الزمخشري يتهيبون قوة عارضته» ما يذكرني بجو القصة المفتعلة قصة الفارس المغوار والأسد الهصور؛ إذ كيف يتهيب الزمخشري عارضة عياض إن لم يكن قد عانى بالفعل من شدة بأسه وقوة شكيمته، وما كان ذلك ليتحقق عند القارئ العادي إلا إذا كان اللقاء بينهما أمرا واقعا، والمناظرة بينهما بالتالي حدثا لاشك فيه.

لكن السيد الباحث لا يعني - أو هكذا فهمته منه - أن عياضا قد واجه الرجلين في زمنه في معترك المعارضة والمناظرة؛ بدليل ذكره لابن تيمية الذي تأخر عصره عن عصره 661 - 728هـ، والأستاذ يلمح فقط إلى قول ابن تيمية حين وقف على بعض كتب عياض فقال فيه قولته المشهورة: « غلا هذا المغَيْربي»[155].

وإلا فإن الأستاذ نفسه لم يكن يرى أن عياضا قد فارق سبتة مسقط رأسه إلا في رحلات محدودة ذكرها، وهي - كما قدمنا من قوله -: «رحلته الأولى للأندلس لتلقي العلماء، ورحلته الثانية لولاية القضاء بغرناطة، ثم ثالثة خاطفة للاتصال بابن غانية يوم رفع راية العصيان ضد الموحدين»[156].

9 - آخر ما وقفت عليه من هذا الغلط على عياض:

وفي هذه المرة جرى تعميم هذا الغلط عن طريق النشرة الفصلية التي تصدرها وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية بالرباط نشرة الأئمة والخطباء، في مقال تحت عنوان: «من أئمة الحديث والمذهب المالكي وفقهائه الأعلام - القاضي عياض حافظ المغرب»، قال صاحبه الأستاذ عبد الله غوتة تحت عنوان: «الرحلة في طلب العلم»: « رحل عياض إلى الأندلس سنة 507 هـ / 1113 م طلبا لسماع الحديث وتحقيق الروايات، وطاف بحواضر الأندلس التي كانت تفخر بشيوخها وأعلامها في الفقه والحديث، فنزل قرطبة أول ما نزل، وأخذ عن شيوخها المعروفين كابن عتّاب وابن رشد وأبي الحسين ابن سراج وغيرهم، ثم رحل إلى مرسية سنة 508هـ/1114 م والتقى بأبي علي الحسين بن محمد الصدفي، بعد ذلك رحل إلى المشرق لمناظرة أهله، واختبار مؤهلاته، وفي هذا قيل: « لولا عياض لما عرف المغرب».

«ثم ما لبث أن عاد عياض إلى سبتة غزير العلم.... وكانت عودته في جمادى الاخرة 508 هـ / 9 من أكتوبر 1114 م»[157].

فهذا الترتيب الذي رتب عليه السيد الكاتب مراحل رحلة عياض، وقوله بعد أن ذكر ما يتعلق بحواضر الأندلس: «بعد ذلك رحل إلى المشرق لمناظرة أهله واختبار مؤهلاته» صريح في أنه يتحدث عن رحلة أخرى لعياض إلى المشرق بعد فراغه من حواضر الأندلس كقرطبة ومرسية. وأقوى قرينة تؤكد هذا المنحى من الكاتب هي قوله بعد هذا: «وفي هذا قيل: لولا عياض لما عرف المغرب».

وكم يبدو عجيبا مع هذا الذي ذهب إليه الوهم به، أن يعود مرة أخرى إلى تحديد تاريخ العودة إلى سبتة بسنة 508هـ في جمادى الآخرة، أي في السنة نفسها التي سمع فيها في مرسية بالأندلس من أبي علي الصدفي المذكور، وهو إنما توجه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

إلى مرسيـة يوم الاثنين لخمـس بقين من المحرم سنة ثمان من التاريـخ، «فوصل مرسيـة يوم الثلاثاء الثالث مـن صفر بعده، فوجـد أبا علـي الحافظ الحسين بن محمـد الصدفي مختفيا، فأقـام بقية صفـر وربيع الأول يقابـل كتبه أثناء ذلـك بأصول الحافظ أبي علي...»[158].

إلى أن خرج أبو علي مـن اختفائه «فسمع عليه كثيرا، ولازمه وكان لـه بـه اختصاص، فحصـل لـه مسمـوع كثـير في مدة يسيرة»[159].

وعـاد عياض كما يقـول ولده، «ووصل بلده سبتـة ليلة السبت السابع من جمادى الآخرة من عام ثمان وخمسمائة»[160].

فكل المدة إذن مابـين دخول عياض لمرسية ووصوله إلى بلده، لا تزيـد علـى أربعة أشهر مـن نفس عام 508 هـ، تبتدئ من المحـرم، وتنتهي بجمادى الآخرة، ولا توافـق أشهر الحج أيضا لـو كان يتصور حجه مع هذا السماع في أثنائها، والكاتب نفسه يذكـر تاريخ الوصـول إلى مرسية وتاريخ الرجـوع إلى سبتة في السنة نفسها.

فكيـف رحل إلى المشرق لمناظرة أهلـه في هذه الأثناء؟ وكيف تكون القولة المرسلة المشهورة التي لا يعرف أول من أطلقها دالة علـى هذه الرحلة الخيالية المزعومـة التي استطاع عياض فيها في عـام واحـد أن يطوف في حواضـر الأندلـس[161]، وأن يسمع علـى أبـي علي الصحيحـين البخـاري ومسلم ويجيـزه بجميع مروياتـه[162]، «ويرحـل بعـد ذلـك إلى المشرق لمناظـرة أهله، واختبار مؤهلاته؟»

وكل ذلـك في عـام واحد بل خلال أشهـر، ولا نرى أن الصدر يتسع لقبول مثل هذا المنطق أبدا ولا أن يجد له موضعا للتسويغ في البحث العلمي، فضلا عن أن يرتب عليه وقوع ما بدأنا ببيان تهافته مـن دعوى مناظرة عياض للزمخشـري؛ إذ أقل ما فيه من مظاهر تهافت الدعوى وانهيارها من جميع الجهات:

1 - أن الرحلـة المزعومة لم تصادف موسـم الحج؛ إذ أشهر الحج أشهر معلومات أولها شوال[163].

2 - وأن الزمخشـري في عـام 508 هـ لا وجود لـه في البلد الحـرام حتى يتصـور الاجتماع والتلاقي بينهمـا؛ إذ بيّنّا فيما تقدم أنه إنما رحـل من أجل سماع كتـاب سيبويه من أبي بكر اليابُري أثناء مجاورتـه في الحرم المكي في أواخر العقد الثاني من القـرن السادس قبل وفاة اليابـري المذكور سنة 518 هـ. فكيـف يكون عياض لقي الزمخشري هنـاك وناظره، وكلاهما آنِسُ الـدار، مطمئـن القـرار في بلاده لهـذا العهد بـين أهله وطلابه، قائم بمهامه ووظائفه، لم يثبت تاريخيا أنه غادرها في

غير ما ذكرناه وتقصينا أخباره من المرات المعروفة الموثقة؟ فلا مكان إذن لمزاعم من زعم لعياض رحلة إلى المشرق ناظر فيها الزمخشري، أو لقي فيها العلماء حتى اعترفوا له، أو أنهم قالـوا بسبب هذا: لولا عياض ما عرف المغرب. وإنما قالها من قالهـا بعد أن وقف على كتبـه العلمية كمشـارق الأنوار والإلماع وترتيب المدارك والتنبيهات وغيرها.

خاتمة:

ولعلنا بهذا الذي جمعنا ورتبنا نكون - بعون الله وتوفيقه - قد أمطنـا اللثام عن جلية الأمر، ووصلنا إلى الحكم في جزم تام، ويقين مكين لا مزيد عليـه، بأن حكاية المناظرة المقول بوقوعها بين القاضي أبي الفضل عياض وبين شيخ الاعتزال أبي القاسم جـار الله محمود بن عمر الزمخشري، حكاية باطلة موضوعة، لا أصـل لها في كتب أهـل العلم وأقوال العلمـاء، ولا موضع لها من الحقيقة والواقع التاريخي بحال من الأحوال، وإنما هي من تلفيق بعض المشايخ، وأشبه برؤى المنامات ونسج الخيال.

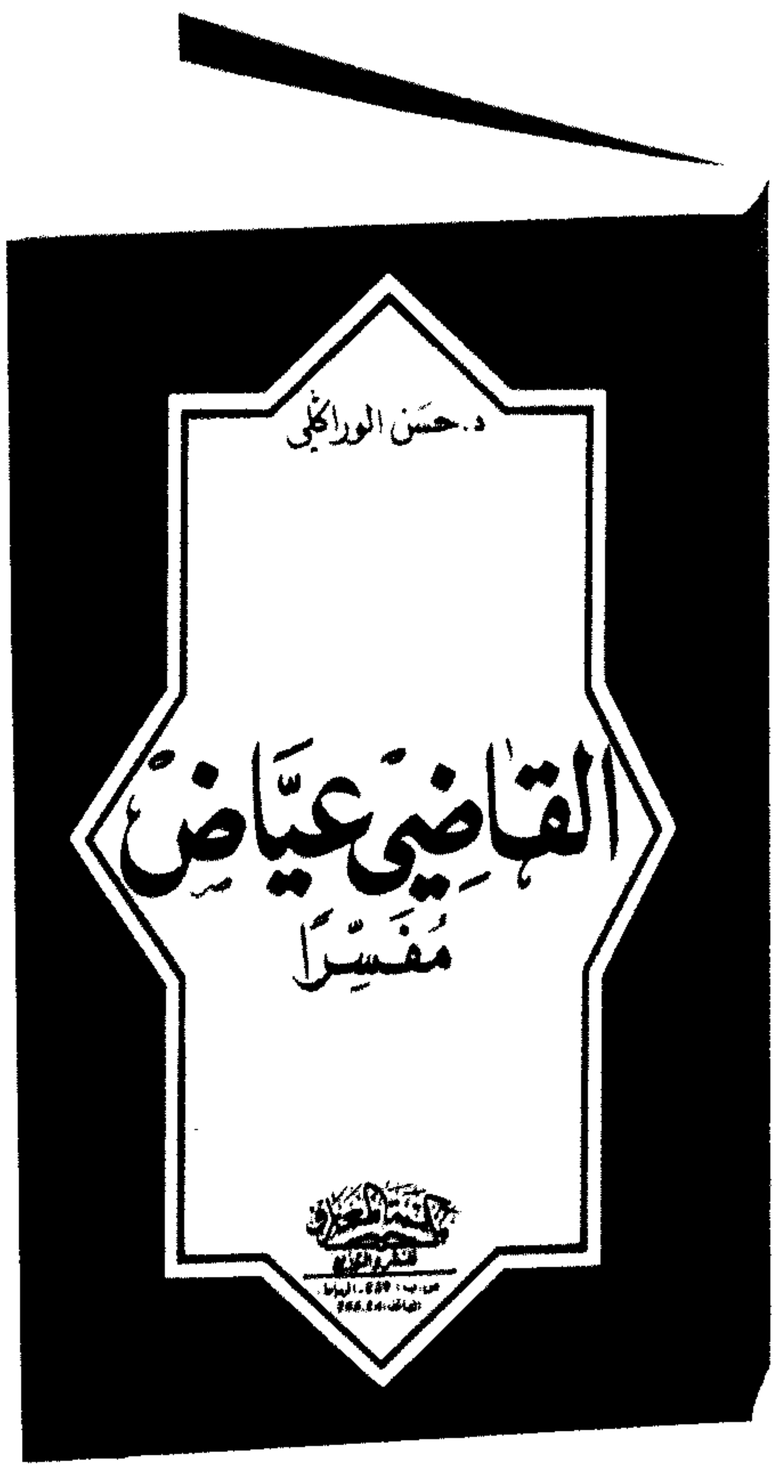

ولله الحمـد والمنـة، وصلـى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(*) عضو المكتب التنفيذي للرابطة المحمدية للعلماء

1. انظر الصلة لابن بشكوال: 1/ 285 ترجمة رقم 649 وكذا 287 ترجمة رقم 656 والمعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي: 225 ترجمة رقم 198 .وكذا: 319 ترجمة رقم 295.
2. انظر مقدمة تحقيق كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفة: ص 1.
3. قلائد العقيان للفتح بن خاقان: 255 طبعة تونس.
4. المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي: 307-308 ترجمة رقم 279.
5. نقله العباس بن إبراهيم المراكشي في كتابه الإعلام: 9/ 348.
6. التعريف بالقاضي عياض ببعض اختصار: ص 4 -5.
7. نقله ابن الأبار في معجم الأصحاب: 308 ترجمة رقم 279.
8. انظر مقدمة تحقيق مشارق الأنوار للقاضي عياض للأستاذ البلعمشي أحمد يكن: 1/ 5.
9. أعني كتاب التعريف بالقاضي عياض وهو منشور بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة الطبعة 2: 1402هـ/ 1982م نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.
10. أزهار الرياض في أخبار عياض لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني طبع في خمسة أجزاء بإشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
11. نشرت البحوث والدراسات المذكورة في ثلاثة أجزاء عقب انتهاء دورة القاضي عياض المنعقدة بمراكش بتاريخ: 13-14-15 جمادى الأولى 1401هـ الموافق: 20-21-22 مارس 1981م.
12. المؤلفات عنه كثيرة. منها كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، نشر بتحقيق د / محمد بن شريفة. ومنها كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، نشر في خمسة أجزاء بتحقيق عبدالسلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، نشر وزارة الأوقاف بالرباط. ومنها بحوث ندوة الإمم مالك . دورة القاضي عياض . عقدت بمراكش بتاريخ 13-14-15 جمادى الأولى 1401هـ / 20 - 21 - 22 مارس 1981م، وطبعت في ثلاثة أجزاء بوزارة الأوقاف المغربية بالرباط. ومنها بحوث في مجلة المناهل المغربية التي تصدرها وزارة الثقافة العدد 19 خاص بالقاضي عياض دجنبر 1980م.
13. مقدمة الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي لكتاب ترتيب المدارك لعياض من تحقيقه: ج1/ح.
14. الشفا لعياض: 1/ 337 - 338.
15. نفسه: 1/ 338.
16. نفسه: 1/ 340.
17. انظر الشفا: 1/ 156.
18. انظر صفحات من تاريخ أبي الفضل عياض للأستاذ عبد الكريم التواتي: 1/ 350 - 351 دورة القاضي عياض.
19. انظر «الصراع المذهبي من خلال ترتيب المدارك للقاضي عياض» للدكتور عبد القادر العافية: ص65 وما بعدها دورة القاضي عياض 3/ 35 .
20. انظر أقاويل هذه الفرق في كتب الملل والنحل، ككتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، والتبصير في الدين للأسفراييني، والتمهيد لأبي بكر الباقلاني، والفصل لأبي محمد بن حزم، والمنية والأمل في شرح الملل والنحل لابن المرتضى اليماني، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.
21. انظر بعض مناظراته للمعتزلة في ترجمته في ترتيب المدارك لعياض: 7/ 50-59 وأزهار الرياض: 3/ 78 - 84.
22. هو الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو أديب كاتب بليغ سارت بذكر مأثره الركبان، وفيه وفي صاحبه أبي الفضل ابن العميد وزير البويهيين أيضا ألف الأديب أبو حيان التوحيدي كتابه المشهور بـ «أخلاق الوزيرين»، توفي ابن عباد سنة 385هـ بالري ثم نقل إلى اصبهان. ترجمته في وفيات الأعيان: 1/ 228-233 ترجمة 96، ويتيمة الدهر للثعالبي: 3/ 192 ومعجم الأدباء: 6/ 168 وفي كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان الكثير من أخباره، وكذلك في كتابه الآخر «الامتاع والمؤانسة».
23. التبصير في الدين للإسفراييني: 80 - 81.
24. انظر كتاب أخلاق الوزيرين بين الواقع والفن: دراسة تحليلية لكتاب التوحيدي ومكانته في فن الهجاء في النثر العباسي، رسالة جامعية للأستاذ الدكتور الحسن بن محمد بوتابيا: 1/ 23.
25. انظر معجم الأدباء لياقوت: 2/ 216 والمنية والأمل لابن المرتضى اليماني: 204.
26. طبقات المفسرين للداودي: 2/ 314 . 315 ترجمة 625.
27. وقد قال في تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف:

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾

«ثم تعجب من المتَّسمين بالإسلام، المتسَمِّين بأهل السنّة والجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً. ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة، فإنه من منصوبات أشياخهم. والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

لَجماعةٌ سمَّوْا هواهم «سنـــة» وجماعةً» حُمُرٌ لَعمري موكَفَـــة
قد شبهوه بخلقه وتخوَّفـــوا شُنَعَ الورى فتستروا بالبلْكَفَـــة

الكشاف: 2/ 156. ومعنى البلكفة: قولهم: «بلا كيف»، وأورد المقري ردودا عديدة على القائل وعلى الزمخشري. وانظر تسمية الزمخشري لأهل السنة بالألقاب المذكورة والمواضع التي ذكرهم فيها بذلك في الكشاف فيما أشار إليه الإمام المقري في أزهار الرياض: 3/ 84، وانظر البيتين والردود الكثيرة عليهما في الأزهار: 3/ 298 - 303. ورد الإمام ابن عرفة عليه في كتاب تلميذه أبي العباس أحمد بن محمد البسيلي التونسي: «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن العزيز»: 2/ 206-207 وردود أخرى ذكرها محققه.
28. هذه الترجمة لأبي بكر عبد الله بن طلحة بن محمد اليابري ساقطة من الأصول التي حقق عليها كتاب الذيل والتكملة من حرف العين من العبادلة المذكورين في بقية السفر الرابع المطبوع، وقد أشار محققه الدكتور إحسان عباس إلى سقوط بعض التراجم عند الصفحة 226 بالهامش رقم 1 وذكر ثلاث تراجم ساقطة استدركها من التكملة لابن الأبار ليس فيها ترجمة عبد الله بن طلحة، وقد نقلت ترجمته كما نقلها المقري في أزهار الرياض: 3/ 77 وقال: من كتاب الذيل والتكملة.
29. التكملة لابن الأبار: 2/ 250-251 ترجمة 723. وكتاب المدخل المذكور ذكره ابن عبد الملك في جملة مؤلفات ابن طلحة اليابري فقال: «ومنها كتاب في الفقه على مذهب مالك سماه "سيف الإسلام"، ومنها كتاب سماه المدخل إلى هذا الكتاب». نقله المقري في أزهار الرياض: 3/ 77.
30. هو أبو حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي صاحب البحر المحيط في التفسير وغيره من المؤلفات في العربية، والإمام المبرز في القراءات 654 - 745 هـ. انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري: 2/ 285 - 286 ترجمة 3555.
31. أزهار الرياض: 3/ 77 - 78.
32. البلغة: 124 - 125 ترجمة 182، ونقله السيوطي في بغية الوعاة: 2/ 46

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ترجمة 1393.

33. أساس التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني: 167 ترجمة 98.

34. جاء في كشف الظنون أن الزمخشري بدأ تأليف كتاب المفصل يوم الأحد أول شهر رمضان المبارك سنة 513 هـ، وأتمه في غرة المحرم سنة 514 هـ. كشف الظنون لحاجي خليفة 2/ 1774. ولم أجد في المفصل المطبوع ذكرا لهذا لا في أول الكتاب ولا في آخره. وسيأتي ذكر روايات المغاربة له.

35. مقدمة الكشاف: 1/ س، وانظر مادة كشاف في كشف الظنون: 2/ 1475- 1476.

36. المقدمة: 1/غ.

37. تاريخ خليفة بن خياط: 121 - 122 وتاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة: 2/ 673.

38. آخر الكشاف: 4/ 825، وانظر كشف الظنون: 2/ 1475.

39. انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي: 3/ 265 - 266 ترجمة 753. ولعل الصواب:«القلب الذي أجده ثَمَّ لا أجده ههنا».

40. هو زيد بن الحسن بن زيد تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي التاجر المقرئ النحوي اللغوي الأديب الحنفي نزيل دمشق، ولد في شعبان سنة 520هـ ببغداد، وتلقن القرآن على سبط الخياط وله نحو من سبع سنين. قال ابن الجزري: وهذا عجيب، وأعجب من ذلك أنه قرأ القراءات العشر وهو ابن عشر، وهذا لا يعرف لأحد قبله، وأعجب من ذلك طول عمره وانفراده في الدنيا بعلو الإسناد في القراءات والحديث، فعاش بعد أن قرأ القراءات ثلاثا وثمانين سنة، وهذا ما نعلمه وقع في الإسلام.... توفي في شوال سنة 613 هـ بدمشق ودفن بسفح قاسيون. انظر غاية النهاية 1/ 297 - 298 ترجمة 1307.

41. هو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي النحوي اللغوي، كان إماما في فنون الأدب، صحب الخطيب التبريزي وغيره، وروى عنه الكندي وابن الجوزي، ودرَّس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد بعد شيخه التبريزي، واختص بإمامة الخليفة المقتفي. وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة، وله غير ذلك من المؤلفات. مات في المحرم سنة 539هـ، وأخذ الناس عنه علما جما. انظر ترجمته في إنباه الرواة: 3/ 335- 336 ترجمة 782 والبلغة:239 - 240 ترجمة 386 ومعجم الأدباء: 19/ 205.

42. إنباه الرواة: 3/ 270 ترجمة753، وفي آخر قول أبي اليمن ذكر قوله مؤرخا: «وكتب أبو اليمن الكندي في أواخر رجب من سنة ثمان وستمائة».

43. انظر هذه التواريخ بقلم ولد عياض في كتابه «التعريف بالقاضي عياض»: 10- 11.

44. الصلة لابن بشكوال: 2/ 430 ترجمة 975.

45. نقله حاجي خليفة في كشف الظنون: 2/ 1476.

46. غاية النهاية: 1/ 102 - 103 ترجمة 472.

47. انظر تفصيل ذلك في أزهار الرياض: 3/ 283 - 284. قال الزمخشري: «إلا دفترا واحدا قد تركته تميمة في عضدي، وهو كتاب الله المبين»، إلى أن يقول: «ولذت بحرم الله المعظم، وبيته المحرم، وطلقت ما وزرني بتّاً، كفَتُّ ذيلي عنه كفتا، ما بي هم إلا خُوَيْصَّتي، وما يلهيني إلا النظر في قصتي». أزهار الرياض: 3/ 285.

48. أزهار الرياض 3/ 287 - 293.

49. أزهار الرياض: 3/ 282 - 283.

50. من أهم أصول كتاب «الشفا» نسخة ابن الغازي السبتي: محمد بن حسن بن عطية بن الغازي تلميذ المؤلف، وله سماع لكتاب «الشفا» من المؤلف وإجازة به مؤرخة بعام 535هـ، وزاد في أهمية هذه النسخة إلى جانب عتاقتها كونها مقابلة على نسخة عياض الأم مرتين: إحداهما من ابن الغازي نفسه، والثانية من جهة خاله محمد بن سليمان بن سبع السبتي سنة 522هـ. وهذا الأصل أحد الأصول التي أسند منها الإمام يحيى السراج الفاسي كتاب «الشفا»، وفي حوزتي مصورة من هذه النسخة العتيقة عليها سماعات، وفي أولها أسانيد السراج المتصلة بالأصول التي عول في روايته للكتاب عليها، ومنها نسخة ابن الغاز السبتي. وقد أشار أستاذنا محمد المنوني رحمه الله إلى مزية هذه النسخة وتاريخ المقابلة المذكور ونوه بها في بحثه القيم المنشور تحت عنوان:«كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته ومخطوطاته الأصلية» نشره في ندوة الامام مالك دورة القاضي عياض: 3/ 322-323، وأيضا في الملحق الثاني الذي ألحقه ببحثه المذكور: 3/ 343 - 344 وفي بحثه في الملحق الخامس: 3/ 350.

51. قال عياض: «فصل: ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا..». إلى أن قال: «... وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته، على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول تنزيله إلى وقتنا هذا، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة..». الشفا:1/ 388 - 389. ومعلوم أننا إذا أسقطنا من هذا التاريخ وهو 535هـ سني ما بين البعثة والهجرة وهي ثلاث عشرة سنة على المشهور حصلنا على المراد، وهو زمن كتابة هذا الفصل أي عام 522هـ. ولم يفطن إلى هذا الموضع بعض من كتبوا عن «الشفا» فجزموا بأن تاريخ تأليفه له غير معلوم، وأنه «شيء لا يستطاع الوصول إليه». انظر ما أفاض فيه من ذلك بحث الشيخ احمد الكنسوسي بعنوان: «القاضي عياض لولا عياض ما ذكر المغرب»، المنشور بندوة الإمام مالك دورة القاضي عياض:2/ -163 164.

52. أزهار الرياض:3/ 283.

53. أساس البلاغة: 535.

54. وذكر الدكتور محمد بن شريفة إشارات عديدة تدل على الوجود المكثف للمغاربة في مواسم الحج بمكة في عهد المرابطين، ومنها إشارة استفادها من كلام الزمخشري في أساس البلاغة أيضا في مادة «لثم» حيث قال الزمخشري: «وناس من المغاربة يقال لهم: الملثَّمة». قال الأستاذ ابن شريفة: «ومن المعروف أن الزمخشري كان معاصرا للمرابطين الملثمين، وكان مجاورا بمكة فقيل له: «جار الله»، وإدخال كلمة «الملثمين» في معجمه يدل على أنه رأى بعضهم في موسم الحج، أو بلغه خبرهم...». كتاب دعوة الحق ـ الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه: 26 - العدد العاشر: 1423هـ / 2002م.

55. لا أحصي عدد المرات التي سمعنا فيها من قدامى شيوخنا تحذيرهم للطلبة المبتدئين من مطالعة كتاب الكشاف للزمخشري، مخافة تأثرهم بمبادئ الاعتزال المضمنة فيه وتفسيره للقرآن وتأويله على مقتضى تلك المبادئ في إنكار الصفات، والوعد والوعيد، وخلق الأفعال، والقضاء والقدر، ونفي الرؤية وقضية استواء الله تعالى على عرشه، وغير ذلك من أصول العقيدة مما يجسد عناصر الخلاف العقدي بين المعتزلة وأهل السنة، ويخشى معه على المبتدئين من مطالعة مثل هذا التفسير الذي بسط فيه مؤلفه هذه العقائد المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة.

56. من ذلك مثلا كتابه «المفصل في النحو»، فإننا نجد الاهتمام به عند المغاربة والأندلسيين:

- فقد رد عليه أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي من أهل الجزيرة الخضراء ت 625 هـ بكتابقال ابن الزبير: «كان نحويا جليلا... ألف شرح الإيضاح للفارسي، والرد على الزمخشري في مفصله». نقله السيوطي في بغية الوعاة: 2/ 362 ترجمة 2197.

ونظم المفصل للزمخشري من أهل الجزيرة الخضراء أيضا فتح بن موسى بن حماد الجزيري القصري ت 663 هـ، ذكره السيوطي في بغية الوعاة 2 / 242 ترجمة 1893.

وشرح المفصل من أهل الأندلس القاسم بن أحمد الموفق اللورقي 575

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

– 661 هـ. «صنف شرح المفصل في أربع مجلدات». بغية الوعاة: 2/ 250 ترجمة 1912.

وشرح المفصل بدر الدين الحسن بن أم قاسم المرادي المصري المولد الآسفي المحتد ت 749هـ من تلاميذ أبي حيان الغرناطي. «له شرح على المفصل وشرح على الألفية». بغية الوعاة: 1/ 517 ترجمة 1070.

وشرح المفصل أيضا أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب الكراسة في النحو ت 607هـ. الذيل والتكملة: 8/ 1/ 246 ترجمة 43.

وانظر أهم أسانيد المغاربة لكتاب المفصل في فهرسة الإمام المنتوري من طريق أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل عن الحافظ أبي طاهر السلفي وطريق غيره أيضا عن السلفي عن مؤلفه الزمخشري. فهرسة المنتوري ورقة 47.

57. من تلاميذ عياض، له مؤلفات منها كتاب «المعلى في الرد على المحلّى والمجلّى»، وهما كتابان لأبي محمد بن حزم الظاهري. ولد بإشبيلية عام 539هـ وتوفي بها سنة 621هـ. ترجم له تلميذه أبو الحسن الرعيني في برنامج شيوخه: 31 – 37 ترجمة 11، وله ترجمة عند ابن الأبار في التكملة: 1/ 329 وابن الجزري في غاية النهاية: 2/ 240 ترجمة 3410.

58. له رحلة إلى المشرق في حدود سنة 595هـ مرافقا للشهيد أبي بكر بن أحمد الكناني، فأديا فريضة الحج ولقيا هنالك بقايا من الشيوخ فأخذا عن طائفة منهم، وقفلا إلى الأندلس، واستصحبا فوائد جمة وغرائب كتب لا عهد لأهل الأندلس بها انتسخاها هناك... فكان مما جلباه الكشاف عن حقائق التنزيل صنعة جار الله الخوارزمي الزمخشري...ومقامات الزمخشري الخمسون... وتوفي ابن رأس غنمة بإشبيلية في حدود سنة 643 هـ. انظر الذيل والتكملة: 1/ 1/ 28 – 32 ترجمة 12.

59. نقله في الذيل والتكملة في ترجمة ابن رأس غنمة المذكور ترجمة 12.

60. طبع بالمغرب بتحقيق جماعة من العلماء، ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط وهو معروف متداول.

61. المعجم في أصحاب الفقيه القاضي أبي علي الصدفي: 272 ترجمة 240. وانظر الصلة: 1/ 367 – 368 ترجمة 828.

62. برنامج شيوخ الرعيني: 39 ترجمة 12.

63. الذيل والتكملة 5/ 1/ 287 – 301 ترجمة 579. وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي: 4/ 333.

64. التكملة: 2/ 289 – 290 ترجمة 890.

65. صلة الصلة: 5/ 261 – 262 ترجمة 536.

66. نيل الابتهاج لأحمد بابا التمبوكتي بهامش الديباج لابن فرحون: 195. وفي كشف الظنون: 2/ 1482: «مقتضب التمييز في اعتزال الزمخشري من الكتاب العزيز».

67. الإحاطة في أخبار غرناطة: 2/ 287 وبغية الوعاة: 1/ 181 ترجمة 305 والذيل والتكملة: 8/ 1/ 333 وكشف الظنون: 2/ 1481.

68. ذكره له ابن القاضي المكناسي في ترجمته في جذوة الاقتباس: 1/ 150 ترجمة 99.

69. الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام: 2/ 204 ترجمة 186.

70. انظر التعريف به في مقدمة كتاب «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس البسيلس التونسي: 2/ 14.

71. فهرسة المنتوري: ورقة 86.

72. من الذين ردوا على الزمخشري من نحاة الأندلس الإمام أبو القاسم السهيلي ت561 هـ في كتابه «نتائج الفكَر»: 102 فقال بعد بيان الفرق بين النفي بـ لن والنفي بـ لا: «ومن أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في لن ودلالتها على القرب في أكثر الكلام، لم يكن للمعتزلة حجة على نفي الرؤية في قول الله ﷻ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

– وممن رد عليه أيضا من نحاة الأندلس أبو الحسن بن عصفور الإشبيلي ت669 هـ فقال: «زعم الزمخشري أن لن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل، تقول: لا أبرح اليوم مكاني، فإذا أكّدت وشددت قلت: لن أبرح اليوم مكاني، قال: وهذا الذي ذهب إليه دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي بـ لا آكد من النفي بـ لن؛ لأن المنفي بـ لا قد يكون جوابا للقسم نحو والله لا يقوم زيد، والمنفي بلن لا يكون جوابا له، ونفي الفعل إذا أقسم عليه آكد منه إذا لم يقسم». نقله السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو: 3/ 61 – 62.

– وممن رد عليه أيضا من أئمة النحو بالأندلس الإمام ابن مالك صاحب الألفية وغيرها ت672 هـ فقال في أرجوزته «الكافية الشافية»:

والنصبَ أوجبْ مطلقاً بكَيْ ولَن ... وبهما استقبالاً اخصُصْ وإذن

ومن رأى النفي بلن مؤبـــــدا ... فقوله اردد وخلافَه اعضـــدا

وقال ابن مالك في شرحه عليها: «ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفي بـ لن، وهو الزمخشري في أنموذجه ـ وهو شرح له لكتابه المفصل في علم العربية ـ وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقاد باطل لصحة ذلك عن رسول الله ق أعني ثبوت الرؤية، جعلنا الله من أهلها، وأعاذنا الله من عدم الإيمان بها». شرح الكافية الشافية لابن مالك: 3/ 1531، ونقله السيوطي في الإتقان: 1/ 173.

وقد عبر أبو حيان الغرناطي عن رأي المغاربة بصفة عامة في منزلة الزمخشري في علم النحو. قال السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو ناقلا عن الشيخ تاج الدين ابن مكتوم في تذكرته: «أجاز الزمخشري وصف كم الخبرية... ذكر ذلك في الكشاف 2/ 521 قال: وقد نص الشلوبيني في حواشي المفصل وابن عصفور في شرح الجمل الكبير على أن كم الخبرية لا توصف، وقلت لشيخنا الأستاذ أبي حيان: قولهما معارض بقول الكشاف، فرد علي وقال: أصحابنا يقولون: إن الزمخشري غير نحوي، ولا يلتفتون إليه ولا إلى خلافه في النحو، يعني في المواضع التي خالف فيها النحويين وانفرد بها، وكتاب المفصل عندهم محتقر لا يشتغل به ولا ينظر فيه إلا على وجه النقص له والحط عليه». نقله السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو: 3/ 64.

73. هذه العبارات هي التي تدور بلفظها دائما تقريبا عند رواة قصة المناظرة المزعومة، وقد حفظها بعضهم من بعض.

74. نظرا لقدم العهد بسماع القصة وتعدد الشيوخ الذين كنت أدرس عليهم النحو خلال سنوات الدراسة الثانوية، ومع ذكري لأسماء بعضهم، فإني لا أذكر الآن بالتعيين الشيخ الذي سمعنا منه قصة المناظرة المذكورة يومئذ.

75. يتعلق الأمر هنا بشيخنا الموقر السيد الحسن بن علي الروشي المتوكي بارك الله في عمره، وهو فقيه وأديب مشارك، قضى عقودا من السنين في التعليم مدرسا إلى أن أحيل على المعاش، وهو إلى الآن على حاله من الكياسة والحيوية والفضل والخلق الكريم، مقيم بمركز شيشاوة في الطريق من الصويرة إلى مراكش وقد تقدمت به السن. قلت هذا عنه قبل موته رحمه الله، وقد توفي بعد هذا أواخر عام 2008م.

76. سيأتي عرض ما قاله المقري في ذلك.

77. فتح الباري: 3/ 773 – 776 كتاب العمرة: الباب 10 رقم الحديث: 1789 – 1790.

78. انتهى كلام عياض.

79. فتح الباري: كتاب العمرة: 3/ 773 – 776.

80. يتعلق الأمر بالأستاذ إدريس أمثقال رحمه الله، وقد توفي مؤخرا ربما في أواسط سنة 1423 هـ.

81. انظر القصة عند البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: 3/ 226 – 227.

82. القطعة في كتاب الشفا: 2/ 623 – 624 ونقلها المقري في أزهار الرياض: 4/ 180. وعارضها الفقيه الأديب الرحالة أبو عبدالله العبدري بقصيدة تائية في وزنها ورويّها ذكرها الشيخ خالد البلوي في رحلته: تاج المفرق: 2/ 109. 110.

83. الإعلام: 134.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

84. المقصود محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، كان حاجبا لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر الأموي، فاستبد عليه بالأمر، وقاد الجيوش واستخلص الأموال، وبنى دولة بني عامر لحسابه ابتداء من وفاة الحكم بن عبد الرحمن الناصر سنة 366 هـ.إلى أن توفي سنة 393هـ. انظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي: 69 – 70 ترجمة 121.

85. التعريف بالقاضي عياض لولده: 3.

86. هو سعدون بن أحمد الخولاني أبو عثمان أدرك سحنون الفقيه، وأخذ الفقه عن ابنه محمد وجماعة من شيوخ القيروان، وسمع منه ابن أبي زيد صاحب الرسالة وغيره، وكان من الفقهاء المتعبدين المرابطين بقصر المنستير بإفريقية، وغزا بضعا وسبعين غزوة يطلب الشهادة، وتوفي سنة أربع وقيل خمس وعشرين وثلاثمائة هـ. ترجمته في ترتيب المدارك لعياض: 5/ 133 – 136 وطبقات علماء إفرقية للخشني: 166 – 167 ورياض النفوس للمالكي: 2/ 251 – 260 ترجمة 217.

87. المنستير بضم الميم والنون: رباط مشهور قريب من الساحل بإفريقية بين القيروان وتونس بناه هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة. انظر الروض المعطار للحميري: 551.

88. هذا الأثر ذكره المالكي في رسم سعدون الخولاني بقريب مما عند عياض، وفيه قوله بدل «حدثت»: حدثني واصل أنه من حج حجة... وفيه بعد قوله: «داين ربه» فينادي غدا ملك من عند الله ﷻ يقول: من كان له على الله تعالى وتقدس دَيْنٌ فليقم؟ ومن حج ثلاث حجج حرم الله سبحانه جسده وشعره وبشره على النار. وباللفظ الذي سقناه ذكره عياض في الشفا: 2/ 686 وفيه في ترتيب المدارك لعياض: «حدثني واصل أن من حج واحدة...». انظر ترتيب المدارك: 5/ 136.

89. يعني بالغرر: التغرير بالنفس والمخاطرة بها بالتعرض لقطاع الطرق والوقوع في أيدي ذؤبان العرب في البرية، أو في أسر القراصنة من الروم في البحر. كما كان يحدث يومئذ باستمرار حتى للقوافل الوافرة العدد. وانظر في ذكر المحن التي كانت تنزل بالحجاج المغاربة رحلة ابن جبير: 30 بتحقيق د.حسين نصار: 1992م وكتاب دعوة الحق: الأمير المرابطي ميمون بن ياسين: حياته وحجه 470 – 530 هـ للدكتور محمد بن شريفة: 38 – 41.

90. تقدم أن عياضا ولي للمرابطين القضاء على بلده سبتة لثلاث بقين من صفر سنة 515 هـ. كتاب التعريف بالقاضي عياض: 10، وهي السنة التي صدرت في أولها هذه الفتوى من عند ابن رشد.

91. هذا من الفقيه منظور فيه إلى فقه ترتيب الأولويات، وهو ما سوف نراه في قضية حج عياض.

92. كتاب مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد تحقيق محمد الحبيب التجكاني: 2/ 903 – 905 رقم المسألة 237 نشر مطبعة دار الآفاق الجديدة– المغرب.

93. انظر المعيار المعرب للونشريسي: 1/ 432.

94. نفسه: 1/ 433. وتوفي المازري سنة 536. الغنية لعياض: 65 ترجمة 9. وتوفي ابن حمدين سنة 508 هـ. الغنية: 46 ترجمة 2.

95. كتاب المدخل جاء ذكره في ترجمته في الذيل والتكملة، وهي ترجمة ساقطة في أثناء العبادلة من حرف العين من بقية السفر الرابع المطبوع: ص226 كما تقدم، وقد جعله مدخلا لكتابه الفقهي الآخر المسمى سيف الإسلام.

96. المعيار المعرب للونشريسي: 1/ 432 وما بعدها.

97. انظر التكملة لابن الأبار: 2/ 250 – 251 ترجمة 723.

98. المعترض على عياض منتقدا هو أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن يوسف الشهير بالجزنائي كما ذكره المقري في صدر اعتراضه بعد قوله: «نسخة كلام المعترض»: أزهار الرياض: 4/ 183، وذكر أن عياضا كان عليه أن يقول بدل بيته «لولا الأعادي»:

حَقٌّ علي أزورُكم وأزوركم أبدا ولو سَحْباً على الوَجَنات

99. يعني بقطره المغرب كله، أو موضعه منه، وهو مدينة تلمسان، وكان المقري من أهلها. وتوفي رحمه الله سنة 1041 هـ.

100. المتتبع لتراجم الشعراء الذين عانوا مواجهة هذه المحن التي كانت تحول بينهم وبين الرحلة وركوب البحر للقاء الممدوحين انتجاعا للرزق وابتغاء للحظوة، يجد الكثير من الأشعار التي تصف المخاطر البرية والبحرية في الطريق من إفريقية وصقلية والأندلس والمغرب وإليها عبر القرون، ابتداء من أواسط المائة الخامسة بوصول أعراب سليم وهلال إلى القيروان وأعمالها واستيلاء الروم النورمانديين على صقلية والجزر البحرية من بحر الروم الأبيض المتوسط. ففي أخبار أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني ت 488 هـ بطنجة ويُروى البيتان أيضا لابن رشيق القيرواني ت 456 هـ وهو الأصح. أن المعتمد بن عباد استدعى الحصري كما في رواية ابن خلكان وفيات الأعيان: 3/ 334، أو أن ابن الأغلب صاحب ميورقة كتب إلى ابن رشيق القيرواني يستدعيه في البحر كما في رواية أبي الطاهر السلفي في معجم السفر: 98 وفي المطرب لابن دحية: 65، فقال معتذرا:

أمرْتني بركوب البحر أقطعُه غيري لك الخير فاخصصهُ بذا الداء
ما أنت نوح فتنجيني سفينته ولا المسيحُ أنا أمشي على المـــاء

ويقول أبو العرب الصقلي ت506 هـ مجيباً للمعتمد بن عباد وقد بعث إليه خمسمائة دينار ليتجهز بها ويتوجه إليه من جزيرة صقلية:

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسىً؟ واعجب لأسْودِ عيني كيف لم يشب؟
البحر للروم لا يجري السفينُ به إلا على غَرر، والبر للعـــرب

وفيات الأعيان: 3/ 334. ويقول شاعر آخر ذاكرا مخاطر العرب والروم والبحر:

بين الحجاز وبين الغرب قاطعةٌ من العوائق سُدَّت دونها الطرق
عوف وزُغْب ودَيَّاب وسالمُهـــا والهِيبِيُّون وروم البحر والغرق

تحفة القادم: 65.

101. أزهار الرياض: 4/ 183 – 190.

102. الملتزَم: بفتح الزاي بصيغة اسم المكان: ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة. والالتزام الاعتناق. انظر اللسان – لزم – مجلد 12/ 541 – 542 وكتاب الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة لتقي الدين الفاسي: 73.

103. الشفا: 2/ 687 ـ 689.

104. تقدمت، وأولها:

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات

الشفا: 2/ 623 ـ 694.

105. انظرها كاملة في أزهار الرياض: 4/ 11 ـ 20 وانظر معارضة لها لابن دحية في الذيل والتكملة 8/ 1/ 219.

106. هذا الكتاب مات مؤلفه الإمام المازري قبل إتمامه، فوضع عليه عياض كتابه « إكمال المعلم في شرح مسلم » وذكر ولده أنه تسعة وعشرون جزءا التعريف بالقاضي عياض: 116. ويوجد مخطوطا في القرويين بفاس والخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية وغيرها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

107 .الغنية: فهرست شيوخ عياض: 65 ترجمة 9 وانظر ذكر إجازته لعياض في أزهار الرياض 3/ 165 .

108 .الغنية: 62 – 63 ترجمة 7.

109 .نفسه: 64 ترجمة 7.

110 .الشفا: 1/ 470.

111 .الغنية: 102 ترجمة 32. وقد ترجم المقري له تحت عنوان: «وممن أجاز القاضي عياضا ولم يلقه » أزهار الرياض 3/ 167 .

112 .أزهار الرياض: 4/ 249 والإعلام للعباس بن إبراهيم المراكشي: 9/ 376. 377.

113 .كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده: -102 104 وأزهار الرياض: 4/ 249 – 250 والإعلام 9/ 377.

114 .هي كريمة بنت أحمد المروزية نزيلة الحرم المكي، حدَّث عنها أبو علي الغساني الجياني بالإجازة، ماتت سنة 461 هـ. سمعت صحيح البخاري على أبي الهيثم محمد بن المكي، المشهور بالكشميهني المروزي. انظر طريقها عنه في كتاب إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح لابن رشيد السبتي: 36 – 38 والإشراف على أعلى شرف لابن الشاط السبتي: 107. ومشارق الأنوار من صحاح الآثار للقاضي عياض: 1/ 39 وعرف بها في ج 2 ص 459.

115 .الغنية: ترجمة 38.

116 .الغنية: 142 ترجمة 51.

117 .نفسه: 166 ترجمة 67.

118 .نفسه: 170 ترجمة 73.

119 .نفسه: 178 – 179 ترجمة 80.

120 .نفسه: 183 ترجمة 82.

121 .التعريف: 4 – 5.

122 .نفسه: 6 – 13.

123 .من الذين اعتنوا بالتأليف عن القاضي عياض من القدامى أبو عبد الله بن جابر الوادي آشي نزيل تونس وصاحب «برنامج الوادي آشي»، وقد ذكر في برنامجه تقريظا لكتاب الشفا للقاضي عياض، وهو عبارة عن قصيدة رائية، ثم قال بعد إيرادها: «وقد حملتني هذه القصيدة على أن جمعت قطعة جيدة تضمنت التعريف بالقاضي عياض وتواليفه، وما قيل فيها، وما وقع إلي مما خاطب به السِّلَفي وغيره، وما وجدت له من نظم أو قيل فيه، وأثبتها في آخر الشفا الذي كنت نسخته ابتغاء ثواب العلم الجسيم». برنامج الوادي آشي: 218 رقم 31. قلت: وقد اعتمد المقري في أزهار الرياض ما جمعه الوادي آشي في هذا التعريف، ولو كان فيه خبر يشير إلى حج أو مناظرة أو غير ذلك لنقله ونبَّه عليه. انظر أزهار الرياض: 1/ 27، 3/ 12. 14. 18.

124 .الصلة: 2/ 429 – 430 ترجمة 975.

125 .معجم أصحاب الفقيه القاضي أبي علي الصدفي: 306 – 310 ترجمة 279.

126 .بغية الملتمس لأحمد بن عميرة الضبي: 437 ترجمة 1269.

127 .أزهار الرياض الأجزاء الخمسة.

128 .فتح الباري – كتاب العمرة: 3/ 773 – 774.

129 .يعني عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي في كتابه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع». وما نسبه العبدري إلى البكري لم يكن فيه دقيقا، فإن البكري لم يعدَّ أَيْلة من كور مصر، وإنما قال بالحرف: « أيلة» بفتح أوله على وزن فعلة: مدينة على شاطئ البحر في مَنْصَف ما بين مصر ومكة، هذا قول أبي عبيدة، وقد أنشد قول حسان:

ملكًا من جبل الثلج إلى جانبي أيلة من عبد وحرّ

قال: وجبل الثلج بدمشق. معجم ما استعجم للبكري: 1/ 216.

130 .هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن التغلبي قاضي طليطلة، روى عن أبي محمد بن حزم وأبي الوليد الوقشي وغيرهما، له كتاب طبقات الأمم، نشر بتحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي بلبنان. بيروت 1912م، وتوفي سنة 462هـ. ترجمته في الصلة لابن بشكوال: 1/ 232 ترجمة 539.

131 .لم أقف في مشارق الأنوار إلا على قول عياض في حرف الهمزة في أول فصل مشكل الأسماء:» كل ما فيه الأيلي فبفتح الهمزة بعدها ياء ساكنة باثنتين تحتها منسوبون إلى أيلة: مدينة بالشام، منهم هارون بن سعيد الأيلي...». مشارق الأنوار: 1/ 189.

132 .كتاب دلائل القبلة لأبي علي المتيجي، من المصادر المغربية القديمة في تحقيق القبلة، وقفت على نقول كثيرة عنه في رسالة في القبلة مخطوطة للشيخ أبي علي صالح بن أبي صالح من أهل المائة السابعة. وانظر الغنية للقاضي عياض 155 ترجمة 57.

133 .الرحلة العبدرية: 103.

134 .نقله الشيخ عبد الله كنون – رحمه الله – عن كتاب الطارف والتالد في الجواب على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد دورة القاضي عياض: 2/ 15 القاضي عياض، وانظر الأستاذ أحمد العدوي في بحثه: « الجانب الرباني في شخصية عياض «: دورة القاضي عياض: 2/ 189.

135 .صفحات من تاريخ أبي الفضل عياض لعبد الكريم التواتي دورة القاضي عياض: 1/ 311.

136 .عياض خريج مدرسة الحديث المرابطية:دورة القاضي عياض: 1/ 141.

137 .جرت المناظرة بين الشافعي وحفص الفرد بمصر؛ لأن حفصا كان يقول بخلق القرآن فكفره بذلك الشافعي، وجرى بينهما كلام طويل ذكره أبو نعيم وغيره. انظر حلية الأولياء: 9/ 112 – 115. وعن يونس بن عبد الأعلى قال: ذكر لي الشافعي رحمه الله. يوم ناظر حفصا الفرد كثيرا ما جرى بينهما، ثم قال لي: «غبت عنا يا أبا موسى وكنَّاني». انظر الانتقاء لأبي عمر بن عبد البر: 78 – 82.

138 .أزهار الرياض: 3/ 78 – 84.

139 . لأستاذنا محمد المنوني – رحمه الله – عرض هام عن الجدل والمناظرة في كتابه: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 114 – 119 ذكر فيه اتساع المغاربة لهذا العهد في المناظرة، وساق أمثلة لذلك، وليس فيه أي ذكر لما يتعلق بعياض. وللأستاذ إسماعيل الخطيب في كتابه الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع إشارة إلى ما كان يجري في حلقات الدرس الفقهي من المناظرة فذكر أن القاضي عياضا لازم أبا عبد الله بن عيسى للمناظرة في المدونة والموطأ. الحركة العلمية في سبتة: 95 – 96 قلت: وهذه هي المناظرة التي ذكر ولد عياض مثلها لوالده. انظر التعريف: 10.

140 .مشارق الأنوار: 1/ 20.

141 .نفسه: 1/ 21.

142 .نفسه: 1/ 31

143 .التعريف بالقاضي عياض لولده: 75.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

144 .نفسه: 119 وقال: أجازه.

145 .الغنية لعياض: 219 ترجمة 94.

146 .الصلة: 2/ 429 – 430 ترجمة 975 والديباج المذهب: 169.

147 .جذوة الاقتباس لأحمد ابن القاضي المكناسي: 1/ 498 – 499 ترجمة 567.

148 .الغنية: 81 ترجمة 17.

149 .نفسه: 201 – 202 ترجمة 87.

150 .السعادة الأبدية: 36.

151 .التعريف: 106. وأبو محمد هو عبد الله بن محمد الخشني المعروف بابن أبي جعفر شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس وأحفظهم للمذهب مع المعرفة بالتفسير. توفي سنة 526 هـ. ترجم له عياض في شيوخه في الغنية: 153 – 154 ترجمة 56.

152 .الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي للحجوي: 557.

153 .صفحات من تاريخ عياض لعبد الكريم التواتي دورة القاضي عياض 1/ 318.

154 .نفسه: 1/ 363 دورة القاضي عياض.

155 .قالها عندما نظر في الشفا لعياض، نقله أبو العباس أحمد بن محمد البسيلي في تعليقه على التفسير مما التقطه من كلام شيخه ابن عرفة التونسي، وذكر رد ابن عرفة عليه بأبيات. انظر أزهار الرياض 5/ 9 – 10.

156 .صفحات من تاريخ القاضي أبي الفضل عياض: 1/ 311 ندوة الإمام مالك. دورة القاضي عياض.

157 .نشرة الأئمة والخطباء – السنة الأولى – العدد السادس لشهور ذي القعدة. ذي الحجة 1424 هـ. محرم 1425 هـ موافق يناير – فبراير – مارس 2004م ص14 – 15.

158 .كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده محمد: 6 – 7.

159 .نفسه: 8.

160 .نفسه: 10.

161 .نشرة الأئمة والخطباء: 14.

162 .نفسه: 14.

163 .هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وقيل ذو الحجة كله. انظر تفسير ابن جرير الطبري: جامع البيان: 2/ 257 – 260.

المصادر

- أبو الفضل القاضي عياض السبتي للدكتور حسن الوراكلي، نشر دار الغرب الإسلامي لبنان – 1994م.
- الإتقان في علوم القران للسيوطي، طبعة المكتبة الثقافية – بيروت. لبنان.
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب تحقيق عبد الله عنان – بيروت – لبنان.
- أخلاق الوزيرين بين الواقع والفن للدكتور الحسن بوتابيا، مرقون بالآلة الكاتبة – مجلدان.
- أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نشر اللجنة المشتركة بين المغرب ودولة الإمارات العربية المتحدة 5 مجلدات.
- أساس البلاغة للزمخشري، طبعة دار صادر، ط 1/ 1412 هـ - 1992 م، بيروت. لبنان.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي عبد المجيد اليماني تحقيق د. عبد المجيد دياب.
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي بن أبي الشرف للقاسم بن عبد الله ابن الشاط السبتي، تحقيق إسماعيل الخطيب – منشورات جمعية البعث الإسلامي. تطوان - المغرب.
- الإعلام بحدود قواعد الإسلام تأليف أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط، ط 5/ 1415هـ - 1994م.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، نشر المطبعة الملكية بالرباط سنة 1977م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد اليحصبي السبتي، تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، مطبعة الشركة التونسية – تونس.
- إكمال المعلم في شرح مسلم للقاضي أبي الفضل عياض مخطوط.
- الأمير المرابطي ميمون بن ياسين: حياته وحجه للدكتور محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف بالرباط – كتاب دعوة الحق – العدد 10 – 1423 هـ - 2002م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ط 1/ 1406 هـ - 1986 م - بيروت.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة تأليف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، نشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- برنامج شيوخ الرعيني تحقيق إبراهيم شبوح ، دمشق 1381 هـ - 1962 م.
- برنامج الوادي آشي تحقيق محمد محفوظ – دار الغرب الإسلامي.
- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، تحقيق صلاح الدين الإدلبي – محمد الحسن أجانف – محمد عبد السلام الشرقاوي - 1395 هـ - 1975 م، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس تأليف الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الأندلسي، دار الكاتب العربي.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية - صيدا – بيروت.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة تصنيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، ط 1/ 1407 هـ - 1987 م – الكويت.
- تاريخ خليفة بن خياط العصفري تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، نشر دار طيبة - العربية السعودية.
- تاريخ المدينة المنورة لأبي زيد عمر بن شبه النمري البصري، تحقيق فهيم محمد شلتوت - دار التراث، ط 1/ 1410 هـ - 1990 م، بيروت – لبنان.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الإسفرايني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة

This file was downloaded from QuranicThought.com

المثنى ببغداد: 1374 هـ - 1955 م.
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للشيخ خالد بن عيسى البلوي، بتحقيق الحسن بن محمد السائح – طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
- تحفة القادم لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي الأندلسي.أعاد بناءه وعلق عليه الدكتور إحسالن عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، ط 1/ 1406 هـ. 1986م.
- ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط 8 مجلدات.
- التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد السلام الهراس – دار المعرفة.
- الجانب الرباني في شخصية عياض للأستاذ أحمد العدوي دورة القاضي عياض:1981 - الجزء1 ، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- جامع البيان عن تأويل آي القران لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – طبعة دار الفكر: 1408 هـ/ 1988م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لاحمد بن القاضي المكناسي، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة – 1974 – الرباط.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للإمام الحميدي الأندلسي، تحقيق الدكتورة روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني.
- الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع لإسماعيل الخطيب – منشورات جمعية البعث الإسلامي – تطوان – المغرب.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- الذيل والتكملة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد بن شريفة، دار الثقافة – بيروت لبنان - وأكاديمية المملكة المغربية.
- رحلة العبدري المسماة بالرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سعود العبدري الحيحي، تحقيق محمد الفاسي جامعة محمد الخامس – الرباط.
- الروض المعطار للحميري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط 1 / 1975 – 1984 م مكتبة لبنان بيروت.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق بشير الكوش ومراجعة محمد العروسي المطوى - دار الغرب الإسلامي – بيروت.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة لتقي الدين الفاسي . مكتبة نزار – الرياض.
- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية لمحمد بن محمد الفتحي المراكشي الموقت، ط 2 . دار الطباعة الحديثة - الدار البيضاء.
- شرح الجمل الكبير للزجاجي لأبي الحسن بن عصفور الإشبيلي، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض، تحقيق علي محمد البجاوي - دار الكتاب العربي: 1404 هـ - 1984 م – لبنان.
- شرح الكافية الشافية لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي، تحقيق وتقديم الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، نشر دار المأمون للتراث – جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
- الصراع المذهبي من خلال ترتيب المدارك لعياض للدكتور عبد القادر العافية – ندوة الإمام مالك – دورة القاضي عياض ج 3.
- صفحات من تاريخ عياض للأستاذ عبد الكريم التواتي دورة القاضي عياض: ج1.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي – القاهرة – ط 2 / 1414 هـ - 1994م.
- صحيح الإمام البخاري بحاشية السندي لأبي عبد الله البخاري – طبعة دار الفكر – لبنان.
- طبقات الأمم لصاعد بن أحمد الأندلسي، نشر الأب شيخو اليسوعي: 1912 م، بيروت – لبنان.
- طبقات علماء إفريقية للخشنى، نشر دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة - بيروت – لبنان.
- طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي، تحقيق علي بن محمد عمر، نشر مكتبة وهبة – عابدين – مصر.
- عياض خريج مدرسة الحديث المرابطة لعبد الهادي أحسايسن دورة القاضي عياض:ج1.
- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين للأستاذ محمد المنوني ط 2 / 1397 هـ - 1977 م – الرباط.
- غاية النهاية في طبقات القراء لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي أبي الفضل ابن حجر العسقلاني، بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز لبعض أجزائه والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار السلام بالرياض ودار الفيحاء بدمشق، ط 1 / 1418 هـ - 1997م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، طبعة المكتبة العصرية . بيروت، ط1/ 1427 هـ. 2006 م.
- فهرسة المنتوري مخطوطة.
- القاضي عياض: لولا عياض ما ذكر المغرب للأستاذ أحمد الكنسوسي دورة القاضي عياض: ج 2.
- القاضي عياض للشيخ عبد الله كنون دورة القاضي عياض ج 2.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، نشر مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد.
- الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان، ط 3/ 1407 هـ. 1987 م.
- كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواياته ومروياته ومخطوطاته الأصلية للأستاذ محمد المنوني دورة القاضي عياض ج 3 .
- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر. بيروت . لبنان.
- معجم ما استعجم للبكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، نشر عالم الكتب – بيروت – لبنان.
- معجم أصحاب الفقيه القاضي أبي علي الصدفي لمحمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار – دار الكاتب العربي – القاهرة.
- مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الافاق الجديدة – الدار البيضاء – المغرب.
- المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس الونشريسي، وزارة الأوقاف بالرباط.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، تحقيق اليلعمشي أحمد يكن، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- المفصل في علم العربية لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري، دار الجيل – بيروت . لبنان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطية، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- المنية والأمل في شرح الملل والنحل لأحمد بن يحيى بن المرتضي الزبيدي اليماني، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، نشر دار الندى – بيروت – لبنان.
- مقدمة تحقيق كتاب ترتيب المدارك لعياض للأستاذ محمد بن تاويت الطنجي المجلد الاول، نشر وزارة الأوقاف – الرباط.
- مجلة المناهل المغربية عدد خاص بالقاضي عياض رقم 19 دجنبر 1980م.
- نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي – تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ على محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ـ لبنان ط 1 / 1412هـ - 1992م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري تحقيق الدكتور إبراهيم السمراني، نشر مكتبة المنار- الأردن – الزرقاء.
- ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة - دورة القاضي عياض – مراكش – 13 – 14 - 15 جمادى الأولى 20 –21– 22 مارس: 1401هـ - 1981م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت - 1388هـ ـ 1968م.
- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن العزيز لأبي العباس البسيلي التونسي، تحقيق الأستاذ محمد الطبراني ـ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الرباط: 1429هـ ـ 2008م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبوكتي السوداني، بهامش الديباج المذهب لابن فرحون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس – دار الثقافة، بيروت – لبنان.

سلسلة دراسات وأبحاث

من السلاسل العلمية التي يصدرها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، وتسعى إلى نشر الدراسات والأبحاث القيمة في مختلف الموضوعات العلمية والتربوية والفكرية، صدر منها ستة كتب، تتنوع أحجامها إلى كبير وصغير، فمن النوع الأول: كتاب «الاجتهاد الذرائعي في المذهب المالكي وأثره في الفقه الإسلامي قديما وحديثا»، للدكتور محمد التمسماني الإدريسي، في مجلد ضخم. و«كتاب المستوعب لتاريخ الخلاف العالي ومناهجه عند المالكية»، للدكتور محمد العلمي، في مجلدين. ومن الحجم الصغير: «كتاب التراحم بين الناس في السنة النبوية»، للدكتور عبد اللطيف جيلاني، وكتاب «إسهام مالكية المغرب الأقصى في القراءات وعلوم القرآن وانعكاس ذلك على الدرس الفقهي»، للعلامة الدكتور عبد الهادي حميتو.

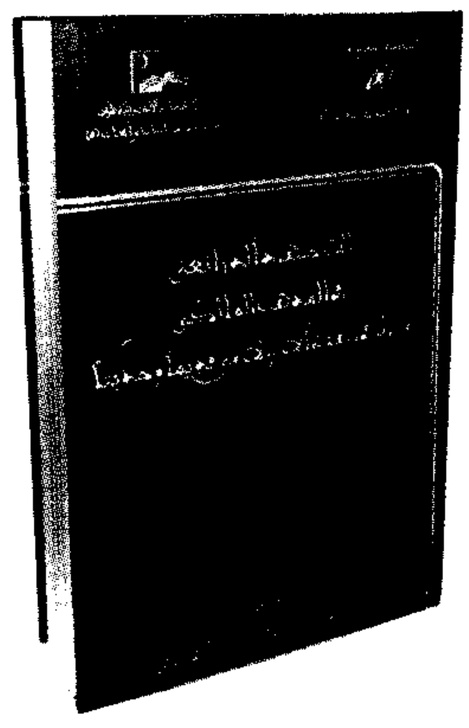

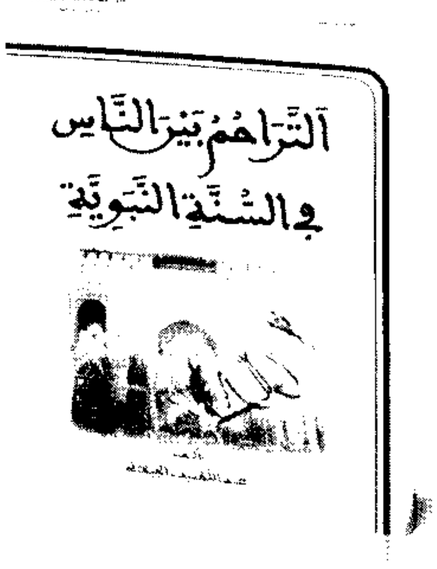

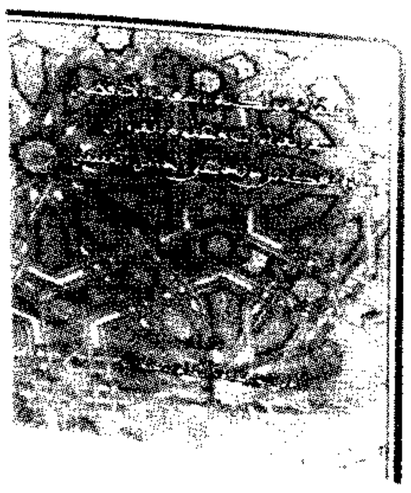

This file was downloaded from QuranicThought.com

مرآة التراث

مجلة علمية تراثية محكمة

تصدر مرتين في السنة عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
بالرابطة المحمدية للعلماء

العدد الأول: جمادى الثانية 1432 ـ يونيو 2011م. ثمن النسخة: 25 درهما

أنموذج من خط أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت 745 هـ)

This file was downloaded from QuranicThought.com